صراط

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2225) السنة الثامنة

الخميس (18) اب 2011

عبد المحسن الكاظمي

12

ظاهرة الارتجال عند الشاعر الكاظمي

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

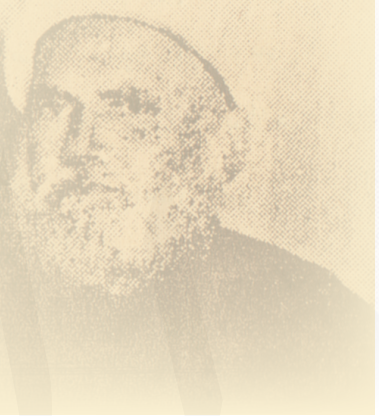

الكاظمي
شاعر الارتجال

طاهر الطناحي
كاتب مصري راحل

الشيخ الجليل: قبل ان يفقد الشعر العربي شاعره الكبير عبد المحسن الكاظمي بقليل كنت ازوره يوميا وقبل دخولي اليه وجدت الباب مفتوحا، فايقنت انه لابد موجود اذ كان لا يبرح المنزل في سنواته الاخيرة فطرقت الباب مرارا فلم يجبني احد فالححت في الطرق لاني حرصت في الايام الاخيرة من حياته على زيارته، وقد عرفته معرفة شخصية منذ سنة ١٩١٩، وقرأت مع ديوان البارودي كطالبه، وصرت اتردد عليه لعلمي بما كان للرجل من ادب حجم، وقريحة خصبة وملكة فياضة، فلما اقلقت من بالمنزل بالطرق سمعت اخيرا صوتا ضعيفا فأخذ يقوى في تهدج، وابصرت الشيخ وقد اقبل يسأل في لطف من الزائرة وكان بصره قد ضعف حتى صار لايميز به وجود وجوه زائريه فسلمت عليه فعرفني، ودخلت فاخذ يعتذر بمرضه وعدم وجود احد معه لان ابنته (رباب) كانت وقتئذ في المدرسة فقلت له: "اذا كان بيننا من هو احق بالاعتذار فهو انا لاني اضعت عليك كثيرا من الراحة" فقال: "لايا بني، اني لانس بالادباء وعشاق الادب، ولقد صرفت عني سأم الوحدة منذ فارقتني رباب الى المدرسة".

قصيدة بنت المئة: ذكر هذا السأم ولم يزد عليه، لان الكاظمي مع ما كان فيه من آلام الحياة لا يجهز بالشكوى، ولا يرضى ان يكون يوما موضع عطف الناس، ولقد عاش محتفظا بكبريائه، واثقا بقدرته وعلو مكانته ، فاذا تحدث عن نفسه لم تشك في ان الرجل معتد بنفسه الاعتداد الذي يستحقه، خبير بقدره واقدار انداده من شعراء اليوم، وقد كان لا يقدم على نفسه احدا من شعراء العصر الحاضر.

وكان يقول عن حافظ : "قصيدته بنت المئة" وهو يعني ان كان يكد ويتعب في قول الشعر، وان قرعته لا تواتيه عند اللزوم، فيقضي الوقت الطويل في نظم قصائده.

اما شوقي فعنده انه خير من البارودي ويعتقد انه امير الشعراء ما عداه هو، الان امارة شوقي لم تسم بعد الى ان تظل الكاظمي بنفوذها وتنشر سلطانها عليها.

رائحة الزهور تنم عليه: وقد حدثني انه لما حضر الى مصر سنة ١٨٩٩ زاره العلماء والكتاب والشعراء وكان ممن زاره الشيخ علي يوسف واحمد بك خلوصي وحسن بك حمادة، فسأله الشيخ علي يوسف متجاهلا اياه: "من الاستاذ وماذا يقصد من زيارته لمصر؟" فاجابه: "غريب جاء هذه الديار ليستشفي بهوائها" وفي اليوم التالي رد للشيخ علي يوسف الزيارة بالمؤيد، وفي اثناء حديثه معه جاء ذكر شوقي بك، فتجاهله الكاظمي وسأل الشيخ عنه، فقال له: "انه شاب يجيد الشعر" فقال الكاظمي: "من له ديوان؟" فقال: "نعم له ديوان طبع منه الجزء الاول" ثم احضره فقال: "هل لك ان تسمعني منه شيئا؟" فاخذ الشيخ علي يوسف يقرأ له قصيدة:

حف كأنها الحبيب فهي فضة ذهب حتى جاء الى قول شوقي: ... اطل ومختضب

فقال الكاظمي: "لو قال شوقي: ناصل ومختضب لكان احسن ، لان المختضب يقابله الناصل".

وجاء في مكان آخر: بارد ومن عجب يشتهي ويطلب فقال الكاظمي: "ولماذا العجب؟ او لا يحسن ان يقول: ولا عجب؟"

وصار الشيخ علي يوسف يقرأ والكاظمي ينقد الى ان انتهى من القصيدة فقال الكاظمي: "هذا كلام عرفناه من افواه الناس" فاجابه الشيخ علي: "رائحة الزهر تنم عليه، ياشيخ عبد المحسن هل تظن انني لا اعرفك؟" وهنا جاء شوقي فتعارفنا. وبدأ عهده بمصر منذ هذا الوقت واول قصيدة قالها بمصر كان مطلعها:.

الى كم تجيل الطرف والدار بلقع
اما شغلت عينيك بالجزع ادمع؟
اانت معيري عبرة كلما ونت
يحفزها برح الغرام فتسرع؟

وتعرف الشيخ الكاظمي بالشيخ محمد عبده وسامي البارودي وغيرهما من كبار العلماء والادباء ورجال مصر، وحدثني ان الشيخ محمد عبده كان لايقدم على البارودي في الشعر احدا من شعراء العصر ويقول: "كلمة امير في مصر كثيرة التداول ولكن مصداق هذه الكلمة هو محمود البارودي".

اين ديوانه: وسألته يوما عن اشعاره لماذا لم يجمعها فاعتذر بتناثر اوراقها هنا وهناك ولكن الرجل لم يكن يعني حتى في ايام صحته وشبابه يجمع ديوان له وقد اخبرني ان الشيخ محمد عبده، والبارودي واسماعيل صبري، لاموا عليه لذلك، والحوا في ان يجمع ديوانا له من قصائده، واستعد الشيخ علي يوسف لطبعه، واسرع فاعلن في جريدة المؤيد نبأ طبع الديوان وعنون هذا النبأ بعنوان: "بشرى للقراء" لكن لم يفعل بعد واستمرت قصائده مبعثرة هنا وهناك حتى الان ولعلنا نرى بعض الحريصين على تراث الادب العصري يهتم بجمع قصائد الكاظمي، فانها ثروة يجب ان يحافظ عليها مؤرخو الادب العربي ويعني الادباء والمتأدبون بها.

الشاعر الذي يرتجل: وقد اشتهر عن الكاظمي الارتجال فارتجل امام حافظ قصيدة تفريظ ديوانه وكان يملي البيت وحافظ يكتب، فما يرفع القلم مستعدا حتى يكون قد املاء البيت الثاني، وبلغ عدد ابيات هذه القصيدة خمسة وتسعين بيتا وبدأ بقوله:

هل بعد ذكر الحبيب ذكرى
احلى لدى ذي الهوى وامرى

واكثر قصائده الارتجالية لم تنشر وقد حدثني عن نفسه انه لما زار جعفر باشا العسكري رئيس الوزراء العراقية مصر، اقيمت له حفلة تكريم حضرها الكاظمي ولم يكن من خطباء الحفلة ولكن الحاضرين الحوافي سماع كلمته فقام وارتجل قصيدة تبلغ نحو مئة بيت قال في مطلعها:

يراع العلى هل انت الدهر مبصر
ام السيف ادرى منك قلبا واجسر
يراع العلى ان كنت في الامن قادرا
فان اخاك السيف في الروع اقدر
شقيقان كل منكما ذو علاقة
بامالنا ان قيل سوا وقرروا
ولابد من حدين للطالب العلى
طريرين لايغريهما ما يغرر
فاما براع يكتب المجد والعلى
واما حسام البلاد محرر
واسعد اوقات المجاهد ساعة
بها السيف يملي واليراع يسطر
اذا لم تنل عز الحياة بصارم
ولا قلم فالموت ابقى واستر

وكان شعره بين الغزل والفخر والمراثي والوطنيات، ووطنياته في مصر معروفة مشهورة، واهم قصيدة له في الوطنيات قصيدته في عودة سعد باشا من المنفى.

واكثر قصائده كما قلنا مبعثرة، وقد ضاع جانب كبير منها قبل حضوره الى مصر في نهر دجلة بالعراق.

مولده ونشأته: اخبرني مرة عن نشأته وحياته في العراق قبل ان يتخذ مصر موطنا ثانيا له فقال:

تحسبني اني ولدت منذ ثمانين سنة لما نراه من مظهري ورأسي المشتعل شيبا ولكن الحقيقة اني ولدت سنة ١٢٨٩ هجرية ببغداد في محلة الدهانة، وينتهي نسبي من جهة الام الى الامام موسى الكاظم عليه السلام جد الشريف الرضي، وقد ادخلت في اوائل صباي بمكتب فقيه بالبلدة ثم خرجت منه الى معلم فارسي لادرس اللغة الفارسية لان ابائي تجار وللعراق صلة تجارية

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

بايران والافغان والهند والتخاطب التجاري باللغة الفارسية في هذه البلاد كثير، فمكثت عنده ستة اشهر امكنني بعدها ان اقرأ واكتب.

ثم خرج المعلم هاربا ليلا لان بعض تلاميذه الاغنياء اهانوه فانقطعت عن دراسته رغم انفي وذهبت الى معلم عربي ولكن ما لبثت ان خرجت من عنده ثم اخذت انظر في المخطوطات العربية والفارسية.

وكنت اعتقد ان ليس في الدنيا احسن من ابي وجدي، وذات مرة زار جدي احد العلماء فرأيته متصدراً المجلس فكبر علي ذلك، وسألت بعض الخدم عنه فقال: "هذا عالم" فقلت: "عالم يعني عنده فلوس؟" فقال: "لا.." . وافهمني معنى عالم فاتجهت نفسي من ذلك الحين الى العلم. "ولما بلغت الثانية عشرة من حياتي تطفلت على موائد العلم بالكاظمية وكان اخي محمد حسين مشتهرا بالادب، فاخذت اطلع مثله على كتب الادب، ولكن الاساتذة كانوا ينهونني عن ذلك بحجة ان هذه الكتب تشغل الطالب عن العلم وتؤخره في تحصيله، فلم استمع اليهم ووجدت في نفسي شوقا الى الادب والشعر وصرت اكب على مطالعة يومي الخميس والجمعة، واكتب القصائد القديمة واحفظها سرا حتى حفظت عشرة آلاف بيت وحدث ان اخي وزميلا له كانا يوما يتطارحان الشعر وايهما غلب يكسب الرهان وكان الاتفاق بين الفريقين على ان زملاء الرئيسين يتطارحان الشعر فاذا عجز فريق منهم انشد الرئيس بدله ولما جاء الدور علي بدأت بهذا البيت:

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي
واسمعت كلماتي من به صمم

واسترسلت في المطارحة حتى عج الزملاء والرئيسان ومن ذلك الوقت كان المتطارحان يتنافسان علي وكان سني وقتئذ ستة عشر عاما وقد نظمت قصيدة غزلية يبلغ عدد ابياتها ٥٥ بيتا لا اذكر منها الان غير الشطر الاول وهو: "ايها الرامي وما اجرى دما" وبعدها نظمت عدة قصائد، ولكن اول قصيدة ظهرت لي كانت رثاء لاحد علماء العراق، وذلك انه كان من العادة عندنا اذا اريد رثاء احد الموتى وقف منشد خاص لتلاوة ما نظمه الشعراء من القصائد، وكلما اتى الى قصيدة قال له الحاضرون: "لمن؟" فيقول: "لفلان" فيرددون "انعم واكرم"، اما اذا لم يرد الشاعر ذكر اسمه، فان المنشد يجيب الحاضرين عن سؤالهم بقوله: "لبعض المحبين" فلما اتى دور قصيدتي في ذلك اليوم الذي اريد رثاء العالم فيه لم ينسبها المنشد الي لاني صغير وكان هناك في هذه الاثناء اديب كبير يدعى السيد ابراهيم الطباطبائي فنسب الحاضرون هذه القصيدة اليه، فحزنت وطربت في آن واحد، حزنت لان قومي لا يفرقون بين قائل وقائل، وطربت لاشتباه شعري بشعر اديب كبير، ولكن لم تمض مدة حتى ظهر اسمي، وانقلبت الاية فصار الناس ينسبون الي كل ما يستحسنون!..

"وقد كان شعري في ذلك الوقت بين الغزل والفخر والمراثي، ثم بدأت انظر الى الحالة الاسلامية، والفت كتاب: "البيان الصادق في كشف الحقائق" وكتاب "تنبيه الغافلين" وجعلت استحث الجمهور الى اصلاح حال المسلمين وكنت لا آمن احدا على ما اقول به سرا غير الاخصاء، وحدث ان حضر الاستاذ جمال الدين الافغاني الى العراق منفيا من ايران فاحتفيت به، وجعلت اناصره ومن هذا الحين تنبهت اعين البوليس الي، فقلت في نفسي ما دامت هذه الاعين قد تنبهت الي فلا بد من الرحيل الى بني لام.

واودعت صديقا لي صندوق اوراقي وفيها قصائدي ما نشر منها، لم ينشر، فخاف الصديق من البوليس فرمى الصندوق في نهر دجلة وعلى اثر ذلك ذهبت الى الخليج الفارسي، ومنه رحلت الى الهند ولي في الهند شعر كثير، ومن الهند حضرت الى مصر".

تلك مرحلة حياة هذا الشاعر الكبير قبل ان يحضر الى مصر رواها لنا بنفسه وقد طوى في مصر ستا وثلاثين سنة كان فيها موضع الاجلال والاكبار، وكان الكل ينظرون اليه ليس كشاعر من كبار شعراء العصر حسب، بل كشاعر من فحول شعراء العربية، وقد اطلق عليه لقب "شاعر العرب" فكان جديرا به، لان الرجل كان يمثل في اسلوبه صفاء العربية وقوتها في عصرها الذهبي وهو مع ذلك يشعر القارئ والسامع انه عائش في العصر الحاضر مخالط لاهله، مشترك في احداثه لاينبو عما يشغل الاذهان والنفوس، ولقد برهن بطول قصائده التي كانت تبلغ في كثير من الاحيان المئتين او تزيد، على ان القافية ليست عقبة في سبيل اداء الافكار والمعاني، وعلى ان الشعر العربي يتسع لاوسع الاغراض.

كتاب "الكاظمي" الجزء الثالث صدر بمناسبة ذكرى وفاته

الكاظمي

وصار الشيخ علي يوسف يقرأ والكاظمي ينقد الى ان انتهى من القصيدة فقال الكاظمي: "هذا كلام عرفناه من افواه الناس" فاجابه الشيخ علي: "رائحة الزهر تنم عليه، ياشيخ عبد المحسن هل تظن انني لا اعرفك؟" وهنا جاء شوقي فتعارفنا. وبدأ عهده بمصر منذ هذا الوقت

عبد المحسن الكاظمي الشاعر الكبير

عبد القادر البراك
صحفي عراقي راحل

في مثل هذا اليوم الموافق ٣٠ نيسان ١٩٣٥، وفي حي متواضع من احياء القاهرة اغمض الشاعر العراقي المغترب الشيخ عبد المحسن الكاظمي عينيه الاغماضة الابدية. وقد ترقرقت على وجنتيه اللتين لم يخمد الموت من شمعها، وعلى لحيته المسترسلة التي لم يصعق الفناء من هيبتها دموع كريمته الوحيدة الشاعرة (رباب الكاظمي).

وما ان انبلج صباح اليوم الثاني لوفاة الشاعر حتى ظهرت الصحف على ما اعتادت عليه في مثل هذه الملمات القاصمات – مجللة بالسواد تنعى الشاعر الذي اوقف شعره قرابة نصف القرن على تسجيل نهضة العرب على ابتعاد تخومهم، وفي كل دولة من دولهم، وعلى التعبير عما يحوك بصدر العربي مهما فصلت بينه وبين اخيه العربي الحدود والسدود والانظمة! ورددت امواج الاثير النعي فتلقته صحف الاقطار العربية بما يجمل بها ان تقابل به نعي شاعر فحل ابى خدم وطنه فكوفئ بالاغتراب عن مرباه، والعزلة في البلد الذي اختاره لاغترابه والعوز الذي لايمكنه من تحقيق الضروري من حاجياته الدنيا كشاعر ابى يقنع بالكفاف، ما دام بوسعه التعبير عما يرى نفسه ملزما بالتعبير عنه تجاه جلدته من العرب والمسلمين.

وصعق العراقيين النبأ فما تردد على افواههم – بعد اظهار الاسى والاسف – غير الكلام الذي احسن الشاعر اليعقوبي في اجماله له:

وكان اراكة طابت اصولا
سقتها الكاظمية والغري
فلما أينعت ادبا وفضلا
نأت فعداهما الثمر الجني

وما ان زالت الغاشية التي تعتاد البلاد حين تمنى بفقد عظيم من عظمائها حتى شرعت اقلام الادباء والباحثين تكشف عن بعض مناحي حياة الفقيد، وتحلل اغراض الشعر الذي كان يقرضه، ومدى اهميته في نهضة العرب، وتتخذ من اساليبه البليغة النماذج التي تتمنى على شداة الادب ومقرضي الشعر ان يترسموا نهج هذا الشاعر في الاخذ بها.

ومن ثم قرت الموجة الهادرة التي استتبعت وفاة الكاظمي..

ودخل – رحمه الله في التأريخ:

على هذا الترتيب الذي اسلفت تتابعت الامور التي جدت بعد وفاة هذا الشاعر وكثير من الذين سبقوه والذين اعقبوه وسيعقبونه من امثاله. وليس بالوسع ازالة هذه «الرتابة».. فلا اقل من ان تطرف الذين لم يدرسوا هذا الشاعر ببعض ما يتعلق بحياته. علها تدخل الى قلوبهم الانشراح، والى نفوسهم الامتاع، والى كراماتهم الاعتبار وبهذا الباعث رأيت ان «اخلد» هذا الشاعر في يوم ذكراه «بمقالة» تكفر عما لقيه في دنياه من عقوق! وتنسيه تلك الايام التي بذلها في شراء البيض واستعمال الوسائل البدائية في سبيل تفقيسه ليتاح له سد رمقه ورمق كريمته بما يبيعه من «الكتاكيت» والام الحاد الذي كان يستمر في جوانحه – وهو الشاعر الكبير في سنه ومقامه – حين ينكشف له ان ما عمد الى تفقيسه من البيض كان فاسداً! وتصرفه – وهو في جدته– عن تذكر مسعى (امير الشعراء شوقي) في سبيل قطع المعونة التي ارصدها له البلاد المصري لاتهامه بالوطنية وبالالتفاف حول حاشية الشيخ (الامام محمد عبده) وسعد زغلول!

نزح الكاظمي عن بغداد بعد مطاردة المحتلين له، وبعد ان اضطر اهله الى رمي جميع ما انتجه من شعر ونثر في النهر خشية وقوع شاعرهم تحت طائلة السلطات وكانت وجهته الهند، ولكن مكوثه لم يطل في تلك البلاد اذ زين له بعض اصدقائه السكنى في مصر فكان لهم ما ارادوا، وكان الاستقبال الذي لقيه من رجال الادب والشعر والسياسة مغريا له بالبقاء – وان كان على حال من الفقر لايملك وسيلة لردها! وما له الصبر على احتمالها، وارتفع مقامه لدى الساسة الوطنيين حين رأوه يقصر شعره على الاشادة بكل عمل يرونه نافعا للمصريين في نوال الاستقلال، وعلى كل حادث يشترك في الانفعال له شعوب العرب بصرف النظر عن اقطارهم فقربه محمد عبده واجرى عليه راتبا يأتيه في كل شهر دون ان يعرف الجهة التي تصرف عليه هذا المرتب! وادناه المرحوم سعد فكان الشاعر الذي خلد ما قام به سعد من اعمال.

وبلغ من حب سعد به ان اتخذ من نفسه ابا لرباب التي تفجرت شاعريتها يوم مات فقالت:

ابي سعد ومثل ابي قليل
وامي مصر فهي به ثكول

ولقد بهر اكابر شعراء مصر ببديهته المطاوعة، وقدرته النادرة التي اصبحت مضرب المثل في الارتجال، وبفخامة ادائه، وشرف مقصده ولون حياته المتميزة في حالتي اليسر والرخاء وحالتي السخط والرضا وكان حظ العراق من شاعره – بعد وفاته – االفخر بانجابه مثل هذا الشاعر الفحل.

كما كان حظ الشاعر من قطره الشوق اليه. والحنين الذي رافقه الى يوم وفاته الى الارض التي انبتته ولفظته.

من كتاب (اعلام من الشرق)
الصادر عام 1950

الشاعر الكبير الكاظمي في اليمين مع استاذه واخيه الكبير محمد حسين الكاظمي في القاهرة

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

الكاظمي في العراق

د. حسين علي محفوظ
كاتب وباحث راحل

هو عبد المحسن بن محمد بن الحاج علي بن محسن ـــ وهو اول من استوطن الكاظمية . من ابائه الذين كانوا من سراة التجار في بغداد . وقد هاجر الى العراق في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ، وكل الظن انه قطن بالكاظمية قبل قرنين . ولكن ، متى فارقت قبيلة "النخع" اليمن . او العراق؟.. ومتى أقاقت بأذربيجان ؟.. أمر لا أعرفه . وانما توجد في اذربيجان ـــ اليوم ـــ بلدة اسمها "نخا" في "قره باغ" لعلها من اثار هجرتهم الاولى الى ارض الاذربين .

وخاف من بعد(محسن) ابنه الحاج علي بوست فروش (بياع الجلود) المشهور. وكانت دارته ـــفي الكاظمية ـــ مجمع العلماء،

ومثابة الادباء وملقى الناس ، وكان بيضة البلد، وزعيم القوم وملاذ الفقراء والعفاة وطلاب المعروف،اليه يلجؤون اذا اشتد الزمان ، وبه يعوذون اذا ناب خطب ...انا لا نعجب اذا كان بيته يغص بالثراء والفراء ولكنه امر عجيب ان يولي الكتب من العناية والرعاية ما يدعو أئمة الفقه ورجال الدين الى الاحتجاج اليه . فقد سئل الشيخ الجليل محمد حسن ياسين أحد أفاضل اشياخ العلم الا كابر بالكاظمية – قبل ١٣٠ سنة تقريبا– استاذه الشيخ محمد حسن النجيفي الفقيه، ان يكتب الى الحاج علي – هذا – ليعيره كتابه الفقهي الكبير (الجواهر) المعروف الذي كان محفوظا بخزانته.

لقد كانت البلاد – حينئذ – في عيشة راضية، ولكنها فجعت بمصائب اشأم من البسوس، فقد مر بها الطاعون الكبير الجارف – سنة ١٢٤٦ هجرية – الذي سماه الناس الطاعون الكبير فمات من مات، وهاجر من هاجر، وفر من فر ، وغودرت المدن وخلت الساحات والرحب، ولم يبق من اهلها الا قليل، واصبحو لا ترى الا مساكنهم.

ولا ادري فقد لا تصدق ، ان بعض الرواة زعم ان سكان الكاظمية وحدها – مثلا – ما كانوا يجاوزون ٣٢ نسمة.

والقى الغرق جرانه على هذه البلدة الطيبة – في تلك السنة ايضا – فابتليت اسرة الحاج علي (جد الكاظمي) بنقص في الامـوال والثـمرات، واصابتها الخصاصة، وكابدت الامـلاق برهة طويلة.

وكان الحاج علي عائلا، انجب سبعة اولاد، اكبرهم الحاج محمد (والد الكاظمي) وكان واسع الحال، بين الرخاء، وقد استردت الاسرة – في زمنه – طرفا من عزتها، حتى عد من شيوخ التجار، وقد سمعت انه كان اذا اراد الخروج من بيته الى السوق، عند الصباح، ركب بغلا فارها والتجار وقوف صفين على باب داره، يحيونه ويسلمون عليه، ويسارعون الى خدمته، والدعاء له وهو يرد تحيتهم، وكان بهيا ، قسيما، يتألق حسنه، وتروق نضارته.

وقد كان هذا العهد من عصور الكاظمية المزهرة، فقد بلغ سكانها – سنة ١٢٧٣ هجرية – الف بيت بعد ان كانوا ٣٢ شخصا قبل ذلك ببرهة لا تزيد على ثلث قرن.

ولكن شغل الولاة بل الجباة – بجمع المال، واثارة الفتن من اجل الاستحواذ على الحكم، انساهم الضبط والحزم، فاتسع الخرق على الراقع، واحاط اللصوص بالبلد، واهتبلوا غفلة الحطام، فقطعوا الطرق حتى قال اديب الملك – الذي زار العراق قبل ١٠٨ سنين (اي قبل ميلاد الكاظمي بـ ١٤ سنة) – ان السراق لم تحص عدتهم، وان الناس كانو يحرسون انفسهم ويوصلون سواد الليل ببياض النهار، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فلا يذوقون امنة النعاس، ولا يعرفون وساد الراحة، فانقطع حبل الزوار خيفة، وكسدت التجارة، وبار المتاع، كما ترك الامراء العناية بالدور، فقوّض البلد غرق احاط بالدور، وغش الـزروع والبساتين – سنة ١٢٧٨ هجرية – فانفق الناس ما عندهم ، وسود وجوههم الفقر فكان الحاج محمد – والد الكاظمي (وهو المعروف بالغنى والمال) قبلا – يتأبط عباءة خلقة بالية ممزقة ، لكيلا يراها احد، وكان يتصيد الهشامة، ويستعير القبس، وبتمكك العظم وينام على البارياء، حياة بين سحيل ومبرم، ورخاء وشدة.. كان ذلك الرجل والد الكاظمي.. وهكذا عاشت اسرته، وهكذا عاشت بلدته. اضغاث احـلام او حقيقة اسـرف في زخرفها الرواة!!

كان بيت الحاج محمد (والد الكاظمي) – على كل حال – من مجامع عترة الادب، واسواق الشعر، وقد ولد الكاظمي في ليلة شعرية جميلة وكان ميلاده ليلة الاثنين ١٥ شعبان سنة ١٢٨٧ هجرية، الموافق ليلة بقيت من تشرين الاول سنة ١٨٧١ م.

وكانت امه سيدة كريمة عقيلة، هي ابنه السيد مهدي الزركش (للطرز الذهبي) الملقب بالبير، نسبة الى (بيت البير) التجار البغاددة.. والسيد مهدي – هذا ينتسب الى (آل ابي ريه) بني عم الشريف الرضي الشاعر، وزوجته – جدة الكاظمي – من بيت البير الاسديين.

نشأ الكاظمي بالكاظمية – في دار والده ، بمحلة التل على ١٦٣ خطوة (تقريبا) شمالي مسجد الكاظميين، بينهما وبين الحسينية الحيدرية ٥٧ خطوة. وكانت التل محلة العلم والعلماء – قديما.

وادبـه اخـوه الاكـبر، الشيخ محمد حسين، الشاعر – المتوفى في حدود سنة ١٣٥١ / ١٩٣٢ – فرواه الشعر، وحفظه الوف الابيات فحفظ عشرات الدواوين واستظهر كتب الادب واللغة والمقامات.

وخرجه – في الشعر – الشيخ محمد جابر الكاظمي، الشاعر الحكيم الناقد المشهور المتوفي في صفر سنة ١٣١٣ .. ثم زار الكاظمي السيد ابراهيم الطباطبائي النجفي العظيم المعروف – سنة ١٣٠٤ هـ – واقام بها سنتين فلازمه الكاظمي، واستفاد منه، وكان – ايامئذ

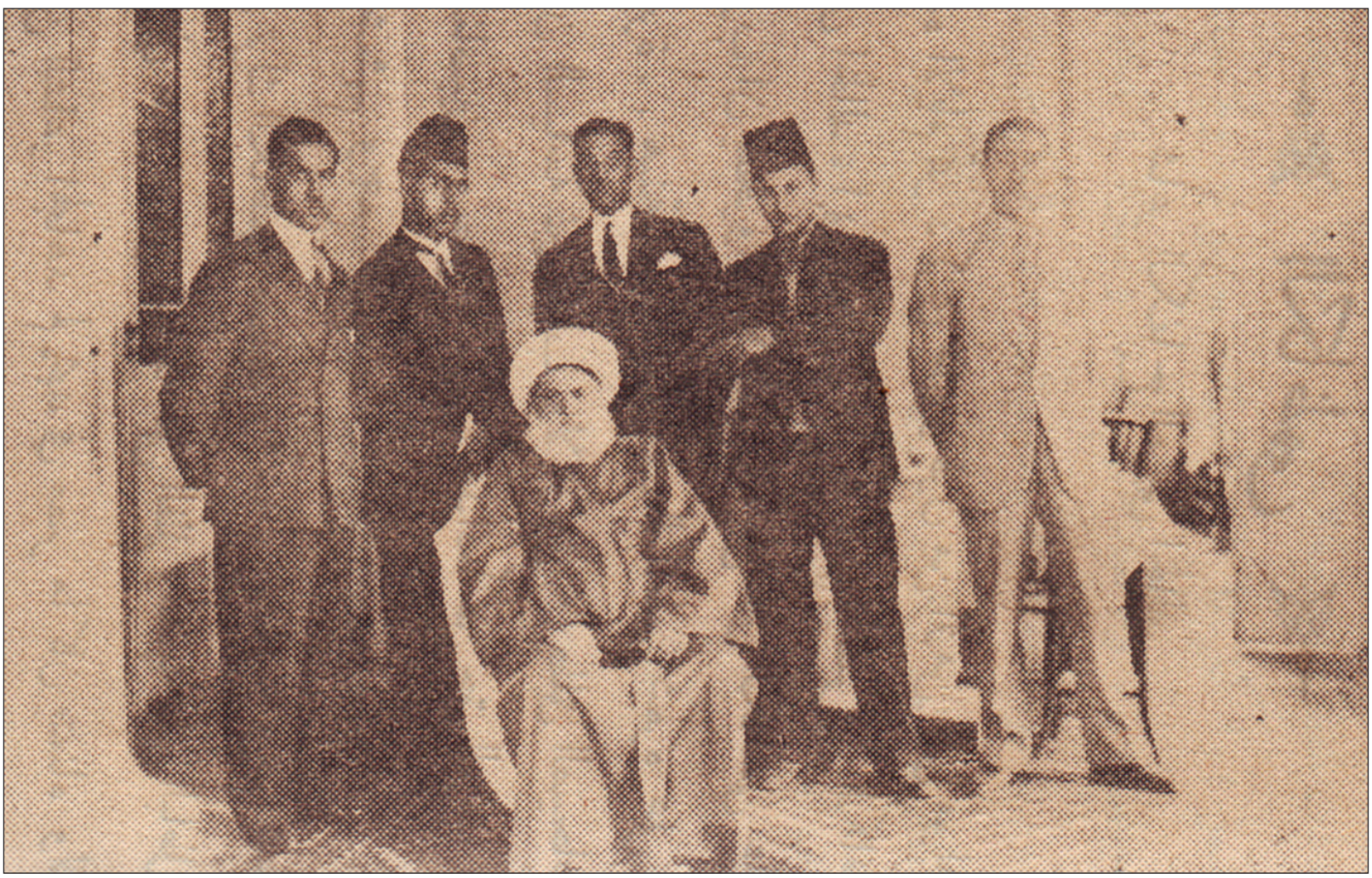

الشاعر الكبير مع بعض الطلبة العراقيين في القاهرة عام ١٩٣٢

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

– في السابعة عشرة من عمره.
كان السيد ابراهيم الطباطبائي يقرب الكاظمي ويلاحظه ويعنى به ويرويه، وكانا يخرجان الى البساتين، يمضيان الهم بالنزهة في الاحايين، يقضيان فيها بياض النهار، اذا ، زينها النور، ويلمان بها، والبدر في عنفوان شبابه.
يتساقون المودة، ويطوف عليهم الادب بقوارير السحر والشعر ينظمهم الليل– اذا اشتبك الظلام – في شط دجلة ، كما ينظم السمط العقد، يناجون القمر، والنجوم ندامى وقد تخذوا الانقاء نمارق، والكثبان زرابي، وتحنوا عليهم اشجار من نخيل واعناب.
اوقات ظل الطباطبائي يشتاقها، وفي قصيدته النونية من ذكرى الليالي وتذكر الايام، وما يؤنس السمع، ويستوكف الدمع، وهي معلقة مطولة نحوو ٥٠ بيتا اولها:

يا بهجة القلب ما للقلب عنك هوى
وسلوة النفس لو تسطيع سلوانا

مجالس كانت ملاعب نمنتها ايدي الربيع، وطرز جنباتها الجمال، ونشر الحسن عليها مطارفه، وقد لعبت النعامى باغصانها، وداعبت الصبا افنانها، وتمشت في روضاتها انفاس الخزامى، يمرح في ثناياها غدير، يحركه شذا الورد فيميس طربا وتتهدل عليه بقايا زهر صوح شبابه الضحا وأوهن تجلده النسيم. يحيي بعضهم بعضا بأضغاث الريحان الجني، واضمامات الجلنار الريان، والناطور يغني الـ (نايل) فيطرب الاصدقاء ويميل الطباطبائي، ويتأبط عباته، فيرتجل هذا الموال ويغنيه بلحنه الـ (ابراهيمي):

يا من فلا يوم عن جتل المتيم عدل
شيصير لوصار طبعك مثل طولك عدل
يجتل بالعباد والميت بكربه عدل
وآنه بمسعاي الك عيب اغنشي لوما
ود كول عن راس طرفك بالرمل لوما
تشهد بدمي خدودك ياترف لوما
بيهن جروح النواظر كلت شاهد عدل

ويهيج الكاظمي ، ولعله انشد (عج نحو سلع) على مثلها من اربع وملاعب.
وكان السيد ابراهيم الطباطبائي يقرأ على عصبة الكاظمي غرر اشعاره، فيعجبون ببديع معانيه، ويطربون الى جميل بيانه، ويهزهم جزل قصائده.. اجتمعوا ذات ليلة بنورها لمعان نارهم – وقد عسعس الدجى – واستخفهم الطرب الى ادبه الوضيء وقريضه الغض، فوعدهم ان يقرأ عليهم قصيدة من بدائعه عند الصباح اذا در قرن الشمس، وباتوا ليلا طويلا ينتظرون الفجر، ويرجون ان يتنفس الصباح.
مضى الليل بطيء الكواكب فتجمعوا في صحن المشهد يتوقعون اقبال السيد الاستاذ، وبيناهم طلعت غرته المنبرة فسارعوا الى القيام وانشهدم ضحا قصيدته الحائية:

قم فاطو من نشر الذا ما قاحا
وانشر لنا معقوصك الفياحا

وهي طويلة في سنة وخمسين بيتا. ذكر فيها اسماء العصبة كناية وتصريحا ، وقد استحسنها القوم معجبين وكان الكاظمي – وحده ساكتا لم يحرك بكلمة لسانه. فخاطبه السيد في الصمت فقال الكاظمي اجلك ياسيدنا من السرقة، ان هذه القصيدة لي، وهي طويلة لها تكملة اغفلتها انت، فاحتد السيد وقال مغضبا: انشدني القصيدة ان كنت من الصادقين، فقرأها الكاظمي – وكان حفظها من فوره – ولم يتتعتع، وقرأ كذلك ما نظمه صلة لها في الوقت، ولكن السيد فظن لذكاء الكاظمي وبديهته وخطر بباله قوة حفظه فطلب من الكاظمي ان يقرأ القصيدة عكسا من الأخر الى الاول وعرف شاعرنا ان السيد اعتراه الغضب، وادركته الحدة والعزة. فالتمس عفو الاستاذ، واعتذر من دعابته، وعذره السيد من مزاحه.
كل اولئك كان حلما روعته دغدغة الشمس، وظلا انتقل كالصباح، ومر السيد جمال الدين الافغاني ببغداد – سنة ١٣٠٨ – واقام اياما بالكاظمية في دار ملا احمد بن ميرزا محمد اليزدي، بلزق بيت الكاظمي، واتصل بالافغاني جماعة منهم الحاج علي اوف التبريزي والحاج علي مطلب، والحاج علي اكبر الاهرابي، وانشأوا مجمعا سريا كان يجتمع في قعر البيت والسرب تحت الشمس، اتيح له ان يدعو الى الاصلاح وقد أسس اعضاؤه المدارس، وكانت اول مدرسة وضعوها للناس مدرسة (الاخوة) في الكاظمية.
وقد تعرف الكاظمي اراء هؤلاء فأكبرها، واعجب بها، واتبعها واقتدى بهداها.
ولعله لاقى المفكر المصلح الحكيم الافغاني في الكاظمية في ابان حلوله بها. ولأمر ما غادر العراق سنة ١٣١٥ / ١٨٩٧ فركب دجلة وفارق بغداد، وهنالك القى ديوانه في الماء.
وقد عرج – على كل حال – على العمارة ، واستقرت به النوى في مصر فاتخذ القاهرة وطنا، حتى مات يوم الاربعاء ٢٧ المحرم سنة ١٣٥٤ / اول ايار سنة ١٩٣٥ اي قبل خمسة وعشرين عاما.

مجلة افاق عربية / نيسان 1985

الكاظمي

كان السيد ابراهيم الطباطبائي يقرأ على عصبة الكاظمي غرر اشعاره، فيعجبون ببديع معانيه، ويطربون الى جميل بيانه، ويهزهم جزل قصائده.. اجتمعوا ذات ليلة بنورها لمعان نارهم – وقد عسعس الدجى - واستخفهم الطرب الى ادبه الوضيء وقريضه الغض

أقدم ترجمة للكاظمي سنة 1912

محمد صبري (السوربوني)
كاتب راحل

هو ابو المكارم عبد المحسن بن محمد بن علي بن المحسن بن محمد بن صالح بن علي بن الهادي النخعي ولد بمدينة بغداد بمحلة يقال لها الدهانة ليلة النصف من شعبان ١٢٨٢ هجرية ولما تعلم مبادئ القراءة والكتابة شغف بالاطلاع على كتب التجارة التي كان والده من مشاهير المشتغلين بها اذ ذاك ثم تولى البيع والشراء بدلا من ابيه الذي كان يعارضه كثيرا فيما يعمله فكان ذلك سببا في تركه التجارة والاحتراف بالزراعة فرأى في طريقه عقبات كثيرة وبعدئذ مال الى مطالعة كتب الادب فتكتم في ذلك خوفا من الاساتذة والعلماء الذين يدعون ان الادب يكون مدعاة الى التقصير في باقي العلوم حتى لقد حفظ نحو الاثني عشر الف بيت من الشعر القديم والناس لا يدرون بذلك وما بلغ العشرين من عمره حتى نال مركزا ساميا بين اهل زمانه حتى اخذ يتدبر حال المسلمين الاجتماعية ويفكر في طرق الاصلاح خفاء خوفا من الضرر الذي يلحقه من الجهر ببغيته اذ ذاك من الحكومة ولما قدم السيد جمال الدين الافغاني بغداد منفيا من ايران احتفى به احتفاء عظيما وتلقى عنه بعض مبادئه ومعلوماته وجرت بينهما امور لايسع المقام ذكرها الان ولما نفي الافغاني من بغداد كثرت الهواجس عند الحكومة حول الكاظمي حتى انها سعت خفية في التفريق بين عائلته وايقاع الفشل بينهم حتى حمل الاب على ابنه والاخ على اخيه فنتج من ذلك ان الحكومة التهمت جزءا كبيرا من ثروتهم.. ولما رأى المترجم له حرج المقام جاهر ببعض مقاصده من تنبيه الغافلين الى اعمال الحكومة المستبدة حتى كان يقع فيما لا تحمد عقباه لولا المرحوم القائد العظيم رجب باشا فاحتمى بالوكالة الايرانيةاعتمادا على ان احد اجداده كان تاجرا بالجلود في بلاد العجم فاشتهر شهرة فائقة وسمي به (البوست فروش) اي بائع الجلود وبقي هذا اللقب لاحقا بالعائلة ثم اخذ المترجم له يؤلف وينظم القصائد ويمهد السبيل لبلوغ منيته حتى انه الف كتابا اسمه (البيان الصادق في كشف الحقائق) ابان فيه سبب انشقاق المسلمين بعضهم على بعض والف كتابا ثانيا اسمه (تنبيه الغافلين) ابان فيه ما آل اليه الحال من التقهقر الخ وبعدئذ شرع في جمع اوراقه السرية ومؤلفاته وديوان كبير له ومذكراته وركب باخرة انكليزية قاصدا البصرة وقبل ان تقلع الباخرة بساعتين احس بقدوم رجال الشرطة الذين فتشوا الباخرة فلم يجدوا بها شيئا وذلك لان احد اصحاب الكاظمي رمى كتبه واوراقه في البحر فاسف وحزن كثيرا عليها، ولما وصل الى البصرة حل منها الى ابو شير بالخليج الفارسي ومكث فيها ستة شهور ثم رجع الى بغداد لان بعض اصدقائه ابلغه بان الحال الى ايران فالهند وكان يساعده في اسفاره صديقه الشيخ محمد المازندراني بماله ونفوذه العظيم وله فيه شعر كثير واخيرا اتى مصر ليمكث فيها بضعة شهور ثم يعود الى الاستانة فبغداد في سنة ١٣١٦ هجرية ولكن عاقه عن ذلك مرض عضال ذهب ببصره ولم يكاشف بامره احدا سوى الامام رحمه الله وله ايضا فيه شعر كثير ومما امتاز به الكاظمي الاباء الشديد ومن ذلك قوله:

واراني ارى القلوب رواء
غير قلب ما بين جنبي ظامي
واابائي يرى من الضيم ان مجـ
ـمل في الدهل منة للغمام

والرجل على خلق عظيم يراه كل من يختلط به وهو اطول الشعراء نفسا وربما يرتجل القصيدة التي تبلغ المئة او المئتين او ما ينوف عنهما دفعة واحدة، ولولا ما اصابه من المرض لكان اكبر مما هو عليه اليوم مع شهرته الفائقة ولكن هكذا اراد الله، ولقد صدق البكري اذ قال انه: «ثالث اثنين الشريف الرضي ومهيار الديلمي» ولئن كان قد ذكر النوق وغيرها في شعره مما بعدها الادباء غير لائقة بالشعر المصري فالشاعر معذور في ذلك ولا لوم عليه اذ ان بلاده هي التي قضت عليه بذلك لانها مازالت بعيدة عن التمدن الحديث... الى هنا ينتهي ما كتبه الاستاذ محمد بري وقد الحق بالموضوع عدة قصائد نشرت كلها في ديوانه.

عن كتاب (شعراء العصر)
الصادر عام 1912 ج2 ص 59

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

شاعر العرب كما عرفته

عز الدين آل ياسين
كاتب عراقي راحل

واستأذنت في الدخول عليه للمرة الاولى، وكان يقيم في شارع الكرنك بمصر الجديدة فانفرجت الباب عن شيخ مهيب، لايزال في وجهة اشراق وفي اساريره انبساط، وفي شمائله تناسب، وفي قوامه اعتدال كان شيئا من محن الايام، وصروف الدهر لم يقوس قناته ولم يصرح فناته، يمثل العراق الصريح في جسمه وروحه وظروفه وحديثه وسماته العامة، جبين واسع ناصع يكاد يشف عما يكتنفه من فواق وعبقرية تتخلله غضون خفيفة املتها عليه ضروب التجارب والوان الحوادث والآلام، وعينان سوادوان كبيرتان فيهما بريق الذكاء وشعاع النبوغ، وفيهما الطموح الحاد العنيف، ولتكن الشيخوخة القاسية والامراض المتمادية قد نالت من قوته، وغضت من حدثه وانف قويم المارن يكاد ينم بقرته وشكيمته عما ينطوي عليه من اباه وشمم وعزة وانعة، ومنطق حلو ممتع لذيذ تسمع لحديثه رنات مجلجلات كأنما يتكلم في بيداء تتداعى اصداؤها. وكانت اللهجة المصرية الخالصة تنحدر من شفتيه وعليها ميسم عراقي لا تقطن اليه، يزوره المصري فيتحفه بالوان من الحديث الخصب عن اصدقائه القدامى امثال الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده والاستاذ الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد واسماعيل باشا صبري ومن اليوم من علماء مصر السابقين وادبائها المبرزين وحديثه عن هؤلاء حقول من الادب والتاريخ فيها لذة وفيها متاع، ويزوره العراقي فينتقل به من مصر الجديدة الى بغداد او الكاظمية، والنجف ويرجع به الى ما قبل اربعين سنة او خمسين فاذا هو بين حلقات العلم ومنتديات الادب وحلبات الشعر، يتحدث عن هذه المدارس الادبية القديمة في افاضة واسهاب، ويعرض في خلال حديثه لما كانت تمتاز به هذه الحلقات من انتاجات الادب العالي، ومن شخصيات الشعر القديمة القويمة الناضجة امثال السيد ابراهيم الطباطبائي والسيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ محمد الجواد الشبيبي ومن اليوم من رجال المدرسة القديمة.. حديثه عن هؤلاء طويل ولكنه لذيذ وجميل ولم يكن يمل هذا الحديث مهما كلفه من مجهود، لايغادر صغيرة ولا كبيرة من طرائف تلك النوادي العتيدة وملحها ونكاتها، يذكرها ويستعرضها بدقة واستقصاء يستثير دهشك لهذه الذاكرة العجيبة التي لا تكاد تنسى تفاصيل حوادث مضت منذ اربعة عقود او تزيد.

وبعد ففي شخصية الكاظمي ظاهرتان بارزتان في وضوح وجلاء هما الاباء والوفاء فهو بى الى اقصى حدود الاباء يثوده ويثقل عليه ان عمل في الدهر منه للغمام كما يقول في ميميته:

وإبائي يرى من الضيم ان
احمل في الدهر منه للغمام!

وانا اعتقد ان ذهابه في الاباء هذا المذهب هو الذي ضيع عليه ان يتبوأ مكانه الذي هو له اهل وبه جدير حظه من الوفاء لا يكاد يقل عن حظه من خلق الاباء وانا لا اعرف له نظيرا في هذين الخلقين وان تعجب فاعجب لرجل قاطعه بلده وصرف عنه جيرته وقطعوا ما بينهم وبينه من اواصر وصلات، ولكنه على ذلك يذكرهم وفي عينه دمعة، وفي قلبه لوعة يذكرهم ويحن اليهم، ويذكر هذه التربة الزكية، هذه التربة المقدسة، هذه التربة الطاهرة التي درج عليها، وترعرع فيها، واستوحى منها ويقول في ذلك:

اقول لا حباي وقد شفني الاسى
صلوني فقد طال التقاطع والهجر
اراني لا استطيع كتمان لوعتي
فسرى في حبكم بعد اليوم جهر
احبكم حتى يرى الحب فعله
وحتى يقول الناس قد ضمه القبر
اروح ويروح الصد ملء جوانحي
واغدوا ويكفي من وصالكم صفر
افاخر من القى بمجدي وسؤددي
وليس سواكم ايها العرب لي فخر
اذا لم يكن عمري لي المجد سلما
فلا طاب لي عيش ولا طال لي عمر
وإن لم تكن نفسي لاوطاني الفدا
فليس لنفسي مثلهما ابدا ذكر
لحاقي بقومي والخطوب ملحة
مناي ولو اغدوا بهم ودمي هدر
اصول صيال المستميتين دونهم
واسطو كما بسطو العفرني وافتر
فكم وقفة من بعد اخرى وقفتها
مسافة ما بيني وبين الردى فتر
ادافع عن قوى وفي الناس ضجة
يراد بها طي الحقيقة لا النشر
وقالوا اليس العرب شتى جميعها
فقلت معاذ الله ليس لذا اثر
هم العرب امثال الجبال تساندوا
وقد شد من هذا ندا في الوغى ازر
وكلهم في ساعة الخير ضاحك
وكلم في ساعة الشر مزور
وان لقومي وثبة تملأ الفضا
اذا جرد البتار او الجم المهر
الخ...

وكان يتحدث الينا عن مواقفه المشرفة ابان الثورة العراقية، وعن مجالسه النادرة مع المغفور له جلالة الملك فيصل وكبار رجال السلك الذين كانوا يمرون بالكنانة غادين او رائحين، واحاديثه هذه صفحات مطوية حافلة من التاريخ الفكري للثورة العراقية الامر الذي يبرهن على ان الفقيد كان يسهم بدوره في الحركة الثورية العراقية وان شط المزار ونات الديار..

وحدثني انه حضر الى المرحوم جلالة الملك فيصل وهو في طريقه الى العراق اول تشكيل الحكومة العراقية فارتجل هذه الابيات في حضرته:

ومختار السكون لنيل قصد
مخافة ان يزل به الكلام
مشيرا بالوفاق على اناس
لنار الحلف بينهم احتدام
اذا كان الحفاظ ضياع حق
فلا كان الحفاظ ولا الذمام
ومعقود تراه العين شهدا
وما محلوله إلا السمام
يشير به الطبيب وليس يدري
بان دواءه الموت الزؤام
وكم وصف الطبيب لنا علاجا
ومن ذاك العلاج سرى السقام
اعيذ الحر ان يرضى حياة
خليق ان يقال لها حمام
ومانسب الانوف الى التحامي
بمجديها اذا وضع الخزام
اذا اختار الحسين لنا مليكا
ففيصل ذلك الملك الهمام
اذا سلم العراق على يديه
لأهليه فقد نجت الشام
وان رام الحياة لنا هتفنا
الا فليحى فيصل والمرام

ولد الكاظمي في الدهانة من محلات بغداد، واسرته في الكاظمية من وافر اسرها حظا من المجد والعز والصيت والغنى، وكانت هذه الاسرة ي عنفوان سؤددها ايام زعيمهم الاكبر الحاج محسن المتوفي سنة ١٢٤٥ من الهجرة، وكان المحسن هذا رجل الكاظمية، يؤمه العفاة من كل حدب وصوب يلتمسون معروفه ويستحلبون يديه وكان واسع العطاء غدق اليد، ثم خلفه في مكانته وزعامته ابنه الحاج علي وكان يترسم اباه في كل خطوة من خطواته، وانجب كثيرا من الاولاد، انتشروا في مختلف البلاد، فكان لكل من العراق ومصر وايران حظ منهم.

وتوفي الحاج علي فدالت دولة هذه الاسرة ولكنها ما لبثت ان عوضت عن دولة المال والنسب بدولة العلم والادب، نهض بها اشبال الحاج محمد بن الحاج علي وهم ثلاثة: اكبرهم الشيخ محمد الحسين ولد سنة ١٢٨١ هجرة وله ضلع في النهضة الادبية في الكاظمية في اول هذا القرن، ولايزال قيد الحياة يقيم في شبرا من اقسام القاهرة وليست له المكانة الادبية التي كانت يتمتع بها اخوه، واصغرهم شيخ احمد ولد سنة ١٣٠٧ ويقيم الان في ايران، وثالثهم فقيدنا الراحل العظيم ولد رحمه الله سنة ١٢٨٢ من الهجرة ودرج بين بيئات الادب وحلقات الادباء

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

ودرس العلوم الاسلامية وتغذى بلباب العربية المحض، واطلع على الاداب الفارسية، ثم بدأ له ان يطوف في البلاد فغادر العراق في الخامسة عشر من شهر جمادي الاولي سنة ١٣١٦ هجرة فمر بالهند حيث ضاع معظم شعره العراقي ثم القى عصا التسيار في بلاد الكنانة يلطف حسه بجمالها ونضارتها وثقف نفسه بمدنيتها وحضارتها فعمل في تكوينه عوامل عدة جعلت منه طاقة مؤلفة من اشتات الزهر فهو عربي في حماسيته عراقي في غزله وكثير في مدحه ورثائه، مصري في معلقاته وسياساته، مسلم في عقيدته وايمانه، شرقي في ميوله ونزعاته، عصري في توثبه وتجديده، ولكن روحا واحدة تلبس هذا الجسم المركب فتطبعه بطابع خاص وتظهره في وجود مستقل وتذهب به مذهبا واضحا.

كان يملي شعره عن طبع وافق، ووحي حاضر، وبديهة مستعدة وروح قوي، وقريحة متحفزة ، فيأتي به مطرد السلك، محكم السبك لايشوبه ضعف ولافتور ، ولا ينوشه قلق ولا اضطراب ، جلاه في خاطره حكما، وصقله ببديهته نفحا، وارسله الحانا حبيبة الى النفوس خفيفي على الاذان، تحمل في مطاويها معنى الحياة، وروح الامل ونشوة الطرد، ونور اليقين، وقسوة الدهر، ومحنة الصبر، وجلال الكرامة..

اندس بين مختلف طبقات الناس قلابس علماءهم وتخلل دهماءهم فعرف كيف يصف طبائعهم ويصور منازعهم ويستشير كوامن الخير في نفوسهم، يرسل البيت النادر، والمثل السائر، والحكمة العالية، مستخلصا ذلك مما يسوق من معاني المدح او الوصف او الرثاء دون ان يتروخاه او يقصد اليه.

اما معانيه فكثير منها نسج خاطره، ووحي قريحته، ويلجأ الى المعاني المطروقة فيخلع عليها من وشيه ما يسمو بها الى خير الكلام، ومبتكره، واما كؤوس هذا الرحيق، والفاظ هذه المعاني من القول تختلف باختلاف الظروف فله في الغزل والنسيب رقة مهيار، وفي الحماسة فخامة الرضي، وفي الحكمة دقة ابي تمام، وله وراء ذلك الهامات عليها رونق طبعه الخاص..

كان يكثر النظم في البحور الطويلة، ويتوخى الرصانة والركانة الى تراكيبه ولا تؤذيه الكلمة الغريبة تندس بين كلامه، وله في الشعر نفس طويل مسرف في الطول، وقد يكون مدينا في هذه الموهبة الفذة الى كثرة ما كان يختزن في حافظته من شعر العرب كانت نفسه رحمه الله قوية الحس كأشد ما تكون النفوس الممتازة قوة، حسن وصفاء طبع واعتدال مزاج وكانت الى ذلك وقية رضية لا تستبقي من صلاتها بالناس إلا الخير، ولا تحتفظ الا بالمعروف ولا ترى الخير جزاء يعدل اطراءه والاشادة به وانشاء عليه ونصبه للناس مثلا يحتذى، ونموذجا يتأثر وكانت الى هذا وذاك ترى دينا عليها للفن والتاريخ لاترى خيرا الا سجلته ولا تحس معروفا الا اذاعته كأنما كان الذين يحسنون الى انفسهم او الى غيرهم انما يحسنون الى الشاعر نفسه.

لم يكن الفقيد فردا يعيش لنفسه فحسب، وانما كانت مصر والعراق بل الشرق العربي كله يعيش في هذا الرجل يحس بحسه ويتألم بقلبه، ويفكر بعقله، وينطق بلسانه، ولا اظن ان احدا من شعراء الجيل الحاضر ارادته طبيعته على ان تكون مرآة واضحة شفافة لحياة نفسه وحياة امته وامانيها ومثلها العليا، قلبي نداءها واستجاب دعاءها، وظفر بالتوفيق الذي ظفر به شاعرنا الفقيد..

والذين يقرأؤون الكاظمي يطالعون الظواهر البارزة فيه في سهولة ويسر، فماكان شعره إلاصدى حسه، وترجمان نفسه، ووحي شعوره والهام عاطفته.

كان يصل بشعره ما بين العراق ومصر وما كانت مصر تعرف عن العراق شيئا قبل ان تحتضن ضيفها العراقي المجيد، فرحبت حياة الادب بمصر بمقدم هذا الاديب العراقي الذي لم يلبث ان كان وقود الحركة الشعرية في مصر في فجر نهضتها، ثم ما لبث ان كان رئيس مدرسة في الشعر لها طابعها الخاص ولها سمتها الخاصة..

وقد يحق لهذه المدرسة ان تفتخر على سائر المدارس الادبية، انها وفقت الى بعث الادب العربي من مرقده، والاهابة به الى النهوض والتقدم والتطور في رفق ودعة حيناً وفي قوة وعنف احيانا..

وانظم الى هذه المدرسة لفيفا من الشعراء انضووا الى لواء شاعر العرب متأثرين اياه؟

من كتاب في ذكرى الكاظمي

1960

الكاظمي

ولد الكاظمي في الدهانة من محلات بغداد، واسرته في الكاظمية من وافر اسرها حظا من المجد والعز والصيت والغنى، وكانت هذه الاسرة ي عنفوان سؤددها ايام زعيمهم الاكبر الحاج محسن المتوفي سنة 1245 من الهجرة، وكان المحسن هذا رجل الكاظمية، يؤمه العفاة من كل حدب وصوب يلتمسون معروفه

أول شهادة عراقية عن الكاظمي

بقلم رفائيل بطي

شاعر كبير يعدونه في مصر في الطبقة الاولى بين الشعراء المعاصرين وينكرون عليه ذلك في العراق، هجر العراق وطنه قبل سنوات وحل القطر المصري فاستفاد فائدة كبرى من وجوده في بيئة سما فيها قدر الادب وانتعش روح العلم فتسنى له ان يطلع على الحركة الفكرية، والنهضة العلمية هناك من جهة وعرف له ادباء النيل منزلته فبعد صيته وسارت شهرته الى اطراف العالم العربي من جهة ثانية، وهو اليوم شاعر الاستقلال ينظم القصائد الاستنهاضية لحزب الاتحاد السوري الذي مركزه القاهرة وعضو في جمعية (الرابطة الشرقية) فيها.

وقد عرف شعره بالجودة والمتانة وحسن السبك ورصانة القافية لايسبق صاحبه سابق في طول النفس وخفة البحر، يتغنى الكاظمي في شعره تغنيا بدويا وقد الف عنه ذلك حافظ بك ابراهيم شاعر مصر.

وهو ابو المكارم عبد المحسن بن محمد بن علي بن المحسن بن محمد ابن صالح بن علي بن الهادي النخعي.

ولد في بغداد في منتصف شعبان سنة ١٢٨٢ هجرية وتعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة ، ولما كان ابوه يشتغل بالتجارة مال الولد الى تعاطي هذا العمل واخذ يطالع الكتب التي تبحث فيه، ثم ترك التجارة واحترف الزراعة فلم يلق نجاحا فانعكف على مطالعة الكتب والرسائل الادبية، وولع بحفظ الشعر فحفظ نحو الاثني عشر الف بيت من الشعر القديم ولما ادرك السن العشرين عرف فضله، واخذ يدرس حالة ابناء جلدته من المسلمين، مفكرا في اصلاح شؤونهم حتى قدم السيد جمال الدين ضالته واخذ عنه بعض مبادئه وعلومه، ثم نفي الافغاني من بغداد فاصبح موقف الكاظمي حرجا لانه كان من المتعلقين بذلك المصلح الكبير، واذ اخذ يجاهر بنواقص الحكومة كاد ان يلحق به اذى كبير لولا انه لاذ بالوكالة الايرانية في بغداد، ثم غادر الشيخ الكاظمي بغداد خفية الى البصرة وانتقل منها الى ابو شير في الخليج الفارسي، وقضى هناك بضعة شهور وعاد الى بغداد بعد ذلك ورحل سنة ١٣١٥ هجرية من العراق قاصدا ايران فالهند ثم القى عصا ترحاله في مصر على نية ان يغادرها الى فروق ويقفل من هناك راجعا الى بغداد غير ان مرضا عضالا اقعده عن مبارحة وادي النيل وذهب ببصره، وقد حظى المترجم كل الحظوة لدى المصلح الاسلامي الكبير العلامة الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله.

والشيخ الكاظمي على جانب عظيم من الاخلاق الفاضلة والمزايا الشريفة ذو اباء شديد وهو آية في بداهة الخاطر يرتجل في مجلس واحد القصيدة التي تبلغ المئة والمئتي بيت من غير ان يظهر عليه اثر الكلفة، وقد روى عنه سليم سركيس الصحافي المنفتن المشهور في مجلته قال: نظم الدكتور ابراهيم شدودي قصيدة في مدح الاستاذ الكاظمي في الحفلة التي عقدت لتكريمه، فما انتهى الدكتور من تلاوتها حتى اجابه المحتفل به بقصيدة ارتجالية من نفس البحر فكان ينظم وانا اكتب والاخوان يعجبون بسرعة خاطره.

وينتقد بعضهم نفس البداوة في شعر الكاظمي، ولا جناح عليه في ذلك لانه تعلم الشعر في العراق على النمط القديم فركز هذا الاسلوب في طبعه.

وقد الف صاحب الترجمة مؤلفات عدة منها:

١- البيان الصادق في كشف الحقائق: ابان فيه سبب انشقاق المسلمين بعضهم على بعض.

٢- تنبيه الغافلين: كشف فيه ما آل اليه حال الامة من التقهقر واشار الى مواطن الداء ووصف الدواء.

٣- ديوان شعره: وله ديوان كبير وان كانت قد فقدت كثير من قصائده في ما قاساه من المحن والخطوب في وطنه.

(عن كتاب الادب العصري ـ القاهرة 1923)

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

في طريقي إلى الكاظمي

د. محمد مهدي البصير

نحن الان في يوم من اوائل ايام ايلول من سنة ١٩٣٠ وفي دار القنصلية العراقية العامة بالقاهرة وقد جمعتنا مأدبة كريمة اقامها الدكتور عبد الله الدملوجي قنصل العراق العام بمصر لي بمناسبة قدومي القاهرة.

وفيما نحن نتجاذب اطراف الحديث اذ التفت صوب مضيفي وقلت له: لا مؤاخذة يا دكتور انا اريد ان ازور الكاظمي فكيف يتيسر لي ذلك، فقال لي: الاستاذ داغر اقرب الناس الى الكاظمي واعرفهم باحواله واوقاته وهو هنا فتفاهم معه في الموضوع. والتفت الى داغر وقلت له ما رأيك يا استاذ فقال: انا على استعداد لان اصحبكم الى يت الكاظمي وان امكث معكم مدة قصيرة على ان انسحب بعد ذلك، فقلت ولم ، قال لأن عندي اشغالا كثيرة يتعلق بعضها بالجريدة (يريد الاهرام التي كان محررا لسياستها الخارجية) وبعضها لغير الجريدة ولا بد من قضاء هذه الاشغال فرضيت.

وهنا تركز الحديث حول الكاظمي فقد قلت للمرحوم داغر يا استاذ ان الناس منقسمون فيما يشاع عن قدرة الكاظمي على الارتجال وهم في هذا بين مصدق ومكذب، ولكن كثرتهم تميل الى التكذيب فماذا تقول في هذا؟ فقال ان المكذبين معذورون ومخطئون: معذورون لأن ارتجال مئات الابيات من الشعر الجيد أمر لا يصدقه العقل ومخطئون لان هذه هي الحقيقة.

فقلت له افتروي بعض ما يؤيد هذه الحقيقة، قال: نعم اروي الشيء الكثير فمن ذلك ان صديقا للكاظمي فقد ولدا له في ريعان الشباب، ولكنه التقى به بعد ايام فعزاه وواساه واعتذر اليه، فقال له هذا ولكن يا استاذ لو نظمت ابياتا ترثي بها الفقيد لكان ذلك احب الينا، فقال حبا وكرامة وارتجل قصيدة تقع في اربعين بيتا كتبها والد الفقيد، ولما فرغ الكاظمي من الارتجال وصديقه من الكتابة قال له اننا سنقيم حفلة اربعين للمرحوم على قبره فهل لك ان تتفضل فتنشد القصيدة في الحفلة المرتقبة قال الكاظمي نعم.

وجاء في الموعد المحدد الى موضع الاحتفال ولكنه رأى قريبا من ذلك الموضع ضريحا ضخما سأل عنه فقيل له انه ضريح المرحوم محمود سامي باشا البارودي، ولم يكن الكاظمي قد رثى البارودي حين وفاته بسبب مرضه فعدل الى ضريحه وعدل معه الناس واخذ يرتجل في رثاء البارودي والناس يكتبون حتى بلغ عدد ابيات القصيدة خمسين ومئة بيت قال في مطلعها:

اقيموا صلاة الخاشعين وسلموا
على من حوى هذا الضريح المعظم

وتطرق في اثنائها الى وصف الحرب العامة وكانت دائرة الرحى انذاك فقال:

يروحون والخمس الحواس جوائر
ويغدون والست الجهات جهنم
وكان عقاب الجو ينظر من عل
فاصبح يرنو تحتهم حيث يرجم

وفي ربيع سنة ١٩٢١ عقد مؤتمر القاهرة الذي تقرر فيه مستقبل العراق وحضره جعفر باشا العسكري من العراقيين وكان عبد القادر باس اعيان وقتها مارا بالقاهرة فاقام حفلة تكريم لجعفر باشا دعا اليها الكاظمي وكنت عنده لما وردته الدعوة فقال انا لا احضر هذه الحفلة لانها انكليزية فقلت له بل الافضل ان تحضر لأن جعفر باشا صديقك ولكن علي ان لا تلقي شيئا وبذلك ترضي ضميرك وصديقك، فوافق على هذا ورافقته الى الحفلة، وتتابع الخطباء والشعراء في تكريم المحتفل به فاما غرغوا صفق الحاضرون وصاحوا الكاظمي، فقلنا لهم الكاظمي مريض والمنهج خال من الاشارة اليه فتمادوا في التصفيق والصباح، وعندها قلت للكاظمي ارتجل يا استاذ عشرة ابيات او اكثر وضع حدا لهذه الضجة فتنهض وارتجل نحوا من عشرين بيتا جارى فيها شاعر البنانيا كان قد انشد قصيدة في الحفلة ثم جلس، فاستأنف المحتفلون الصباح والتصفيق ونهض الكاظمي مرة اخرى وارتجل نحوا من عشرين بيتا آخر ثم جلس، فاستأنفوا الصياح والتصفيق واستأنف الارتجال فما زال يرتجل ويستزيدونه ويكتبون ما ينشد حتى بلغ عدد ابيات القصيدة خمسة واربعين ومئة بيت واولها :

يراع العلى هل انت ادهى وابصر
ام السيف ارسى منك قلباً واجسر

وما كان لي وانا ارى هذا بعيني رأسي واسمعه باذني ان امتحن الكاظمي لأرى الى اين تصل قدرته على الارتجال ولكن هذا ما فعلته فقد اتفقت مع شاعر مصري على ان يمدح الكاظمي بقصيدة صعبة الروي جدا وينشده اياها عندي في موعد حددته له ودعوت الكاظمي الى الغداء وبعد ان فرغنا من تناول الطعام خرجنا الى الصالون لتناول القهوة واذا بالشاعر المصري يفاجئ الكاظمي فسلم عليه سلاما حارا وقال له انه من مريديه المعجبين بادبه وقد مدحه بقصيدة متواضعة يود ان ينشده اياها، فقال له هات فاذا هي قصيدة شينية قافيتها على جانب كبير من الصعوبة فلما فرغ الشاعر المصري من انشاده قال له الكاظمي انك لم تبق لنا شيئا ومع ذلك اخذ بجيبه في نفس العروض والقافية فما زال يرتجل حتى اشفقت عليه ورجوته ان يكف عن الارتجال.

ومن شهود العيان الذين حدثوني عن ارتجال الكاظمي ولكن على مقياس ضيق في هذه المرة المرحوم السيد حسن القزويني فقد قال لي انه كان والكاظمي في ليلة قمراء بصحن الكاظمين عليهما السلام وبينا انوار القمر الفضية تغمر الكون فتملأ النفوس بهجة والقلوب مسرة اذا بغمامة سوداء برزت في الافق فحجبت القمر وملأت الكون ظلاماً فقال الكاظمي على الفور:

وسامرت بدر التم اذ غاب مؤنس
لظني ان البدر عنه ينوب
فحجبه عني الغمام بذيله
فوا عجبا حتى الغمام رقيب

ومن هذا الباب ما اخبرني به الكاظمي نفسه، قال زرت الامام الشيخ محمد عبده في منزله، فقيل لي ان الاستاذ لا يعود الا عند مغيب الشمس فانصرفت بعد ان تركت له هذين البيتين:

قيل بدر الهدى اذا غابت الشمـ
ـس اليكم يعود من عين الشمس
فلهذا اودعتهم رقعتي هذ
ي واودعتها حشاشة نفسي

رحم الله الكاظمي فلقد كان فارس حلبة الارتجال الذي لا يشق له غبار ولاسيما في تاريخ ادبنا الحديث.

عن كتابه (سوانح)
بغداد 1962

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

صفحة مطوية من حياة الكاظمي في مصر

إعداد: المدى

الكاظمي في جمعية الرابطة الشرقية بمصر

في هذه الايام التي يفد فيها على مصر الكبراء والعظماء من اهل الذكر السائر، والصيت الطائر بين الغربيين يجمل بي ان اجدد على صفحات المؤيد ذكر ضيف عظيم ، ونزيل كريم، يجاورنا منذ عامين وتجمعه بنا جامعتان تقتصر دونهما جامعة الاوطان: الشرق والاسلام.

قدم هذا الفاضل مصر وكأنه ابن هانئ جاء من بغداد الى البلاد، فجعلها موضع الانشاد، وملأها ادبا ثم عاد. سخر الله له من المؤيد رواية، لم تسخر لشاعر في العصور الخالية، فما القى عصاه حتى اخذت هذه الصحيفة تجلو لنا شعره، مديحه وفخره سلافه وسحره فاذا نحن بحكمة ابي الطيب، وبالوليد ينسب، وابن ابي ربيعة يشبب وابن زريق يشتاق الى الاهل والبلاد، ويحن الى قمر له في بغداد، لفظ شهر، ومعنى مبتكر وصوغ كما تصاغ الدرر، وقصائد لا يمل منها طول، ولا يغفر لقائلها قصر، وارتجال في بعض الاحايين يدنى الشاعر الى جيد الشعر ولا يتنزل به الى رديئه، وبالجملة فقد طالما سمعت (بالشاعر المطبوع) فاما قرأت شعر هذا الاديب انطبقت صورته فيه لعيني، وتمثلت في خاطري، عرفت الرجل فيمن عرفه فوجدته شاعرا اديبا، يفيض شعره رقة وتهذيبا، وصديقا تدوم مودته، وجليا لايمل حديثه، وراوية لم ار احسن منه اختبارا ، ولا اشد منه غيرة على اشياء الغير، ورجلا كثير التجارب طويل الاسفار اذا وصف لك البلدان ورد بك مصر وصدر عن مصر.

اما مثل سلطان الشعر على هذا الشاعر فاني ما سمعت ولا رأيت فهو كما يتمثله اصدقاؤه من قراء هذه السطور نظرته شعر، ومنطقه شعر، وجلسته شعر، وصحكته شعر، ومشيته شعر، وهو في كل ذلك يحبب الي النفس الشعر، وناهيك بروح الشاعر اذا لطفت ونفس الاديب اذا خفتت، تدفعه الى الانشاد فيفضي حياء وينكمش في ثيابه حتى اذا اندفع تغنى على طريقة اهل تلك البلاد في الانشاد لكل وزن عنده مقام، ولكل باب من ابواب الشعر نغمة، ولكل قافية رنة، اذا ذكر الحبيب والمنزل والستين الخوالي كان قيس عامر رقة ونحولا، وهياما وذهولا، وانينا طويلا حتى اذا جلد خرج الى الفخر ودخل في نمر من الحماسة، فاذا انت بعنترة بين عبلة واهل عبلة يصف ايامه المشهورة ويذكر مواقفه المأثورة، وهو اقدر الشعراء على الفخر في شعره، وابعدهم عنه في حديثه، يفر من الثناء، ولا يحتال على التقريظ، ولا يأخذ الشهرة غصبا، ولا يزهى ولا يتكبر، ولا يحسد ولا يحقد ولا يغتاب، وهكذا نفس الشاعر وادب الاديب.

ليس بين ادباء هذه العاصمة وافاضل القوم فيها من يجهل الشيخ عبد المحسن البغدادي فهو قمر بغداد الذي لم يكن يخفى في مصر، وهي اعظم افق في الشرق تتجلى فيه اقمار الادب العربي وشموسه، وليس بينهم لذلك من لا يحزنه ان يعلم ان هذا التنزيل الكريم يذهب اليوم للرحيل من القطر، غير مخلف فيه من لطائف شعره، وطرائف نظمه ونثره، غير حسنات نذكرها مثل ما نذكر من عهده الكريم وايامه الطيبة فينا، فهل يأذن الشيخ عبد المحسن لصديقه كاتب هذه الجملة ان نتقدم اليه بطلبة يشترك معه فيها جماعة الفضل والآداب ممن عرفوا الاستاذ بالذات او قرأوا له تلك الحسنات، وما تطلب الا ديوانه لطبعه في مصر ويخلفه في اهلها، ابقاء لحديثه الحسن عندهم واثرا له خالدا فيهم على الايام.

التعليق:

نشرنا هذا المقال لشوقي ولكن من حق التاريخ علينا ان ننشر هنا ما كتبه الاستاذ الشيخ عبدالقادر المغربي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق في مقدمة المجموعة الثانية من ديوان الكاظمي (١٩٤٨): "عرفت الشيخ عبدالمحسن في ادارة (المؤيد) لاول عهدي بالتحرير فيه، واخذت اعرف من دخيلة امره ما لا يعرفه سواي، وكان ذلك بعد وفاة استاذنا الامام بسنة ونيف، ومما اخبرني ان الامام رحمه الله كان يتعهده في آخر كل شهر بعشرة جنيهات، يودعها غلافا ثم تسلم اليه في داره من دون ان يشعر بما في الغلاف احد، وبعد وفاة الامام لم يجد مندوحة عن السعي لدى الخديوي في ان يكون له مرتب شهري من الاوقاف، فتوسط في هذا الامر الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد فكان الشيخ يراجع الخديوي في تقرير الراتب، والخديوي يأبى كلما روجع بشأنه. الا الرضخ له من مال الاوقاف بنحو خمسين جنيها وكنت اذهب مع الشيخ عبدالمحسن الى الديوان فيقبضها، وقد تكررت هذه المعاملة المرة بعد المرة، والشيخ عبدالمحسن في كل مرة يظهر التأفف من تناوله المعونة على هذه الصورة. وكان يلح على الشيخ علي – تارة بنفسه وطورا بواسطتي – ان يكلم الخديوي في تعيين راتب شهري مقطوع. وان انتساب الشيخ الكاظمي الى الامام المفتي ان كان من شأنه ان يحدث فتورا نحوه في نفس الخديوي. فما كان قط ليحدث مثل هذا الفتور في نفس الشيخ علي يوسف. فكنا ننزه الشيخ عليا عن وصمة الفتور. لكننا كنا واقفين وقفة الايجاس من حالة الخديوي عباس. ثم ضاق الشيخ عبد المحسن بالامر ذرعا فكلفني ان اخذ من الشيخ علي وعدا بانجاز المسألة مع الخديوي. اما سلبا يريح النفس. او ايجابا يزيح العلة. فتركت الشيخ عبد المحسن في غرفة التحرير ودخلت على الشيخ علي. وبلفته الرسالة. وكان يصحح مقالة للطبع. فترك القلم من يده، وتنفس الصعداء ثم قال: ماذا اصنع يا استاذ انهيت القضية امس مع الخديوي ووعد وعدا اكيدا باصدار اوامره بتعيين الراتب وقد شكرت له وخرجت من عنده، لكنني لم اكد ابرح الباب حتى دخل عليه بعض الناس (ولم يسمه لي) فقال للخديوي: رايت فلانا خارجا من عندك فما ذا يبقي؟ قال: قررنا راتبا للشيخ عبد المحسن الكاظمي، قال انسيت انه شاعر المفتي وقد قال فيه من الشعر كذا وعرض فيك بكذا وكذا؟ قال الشيخ علي: فما كان من الخديوي الا الشيخ يرقده والنكول عن وعده فلما وعيت هذا رجعت الى الشيخ الكاظمي فاخبرته الخبر، فتأثر جد التأثر وقال اتعرف من هو بعض الناس قلت: لا قال هو احمد شوقي".

ونضيف الى ما تقدم انه يبدو من مقال شوقي ان الكاظمي كان يفكر في الرحيل من مصر سنة ١٩٠٢ بعد اقامة دامت حوالي السنتين، ولعل الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية بدأ من تلك السنة يصرف له راتبه الشهري حتى موته في سنة ١٩٠٥ روى (الجاحظ) في عدد مجلة الرسالة الصادر في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٤٧: "قص علينا حافظ ابراهيم كيف جاء المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمي الى مصر غريبا طريدا فحسب ان يكون له في رحاب الخديوي متسعا، ولكن شوقي خشي منافسة الشاعر العراقي فسد عليه الباب وقطع عليه كل رجاء ووجد السيد عبدالمحسن في الاستاذ الامام حمى ولكن الحمام لم يمهل الاستاذ الامام وهنا تهدج صوت حافظ، ودمعت عيناه، ولم يستطع ان يتم الحديث.." وقد نشرت للكاظمي قصيدته عير مؤرخة (المجموعة الثانية ص١٢٣) كان بعث بها الى شوقي، جاء فيها:

تعال الله ما صورك الله وكم صور
فلهفي لك من هاد غواه الدهر فاستكبر
واواه لمن اسلم ثم ارتد فاستنصر
لقد كنت ارجيه ليوم في الورى يذكر
وكنت اخال زيد الخيل في الغايات لا يعثر
اذا بالسابق الكرار ما ان كر حتى فر
محمد صبري

عن كتاب (الشوقيات المجهولة) للدكتور محمد صبري السوربوني والنص منقول من جريدة المؤيد المصرية سنة 1902

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

ذكريات

عن رحيل الكاظمي ودفنه في مصر

حكمة الجادرجي
دبلوماسي عراقي وزوج السيدة رباب الكاظمي

الكاظمي مع مجموعة من الشخصيات العربية في القاهرة عام ١٩٢٠

في حوالي الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم الأول من شهر ايار عام ١٩٣٥ اتصل بي "الطالب" عز الدين آل ياسين، رحمة الله عليه، واعلمني بان الاستاذ الشيخ عبد المحسن الكاظمي قد توفي بداره بمصر الجديدة، فألمني هذا الخبر كل الألم وكنت اعلم بان الكاظمي يعاني آلام مرض الالتهاب الرئوي منذ اكثر من شهر، وكان الطالب المذكور ملازما له طيلة تلك المدة فكان مثالا للشهامة والوفاء فقمت بعد ذلك بالاتصال بمن كنت اعرفه من اصدقاء الكاظمي الذين كانوا يترددون عليه ابان حياته كالشيخ مصطفى عبدالرازق استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة وشيخ الجامع الازهر بعدئذ، والاساتذة اسعد داغر وزكي مبارك واحمد امين، وخليل مطران وانطوان الجميل وخير الدين الزركلي وامين سعيد وغيرهم وعلمت ان الشيخ مصطفى عبد الرازق كان ملازما الفراش ولكنه اصر على ان امر عليه في صباح اليوم التالي لاصطحابه الى منزل الكاظمي للاشتراك بتشييع جثمانه الطاهر الى مثواه الاخر، واعلمني الآخرون بانهم سيكونون في موكب التشييع الذي حددت له الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي الثاني من أيار.

وفي الموعد المحدد صحبت الشيخ عبد الرازق الى دار الفقيد وكانت تقع بميدان الاسماعيلية بمصر الجديدة، فوجدنا الاستاذ عبد القادر الكيلاني القائم باعمال المفوضية العراقية آنذاك قد سبقنا الى هناك وبعض الطلاب العراقيين الذين كانوا يدرسون بمدارس القاهرة... وكان الشيخ مصطفى بحالة تأثر شديد وقد اغرورقت عيناه بالدموع على صديقه الحميم الذي كان تجمعه به صلة الصداقة والادب الرفيع والاخلاق الفاضلة، وقد أبى الا ان يشترك في تشييع بسيط لم يسر فيه الا القليل ممن كانوا يتصلون بالكاظمي سواء من الادباء او من العراقيين الذين كانوا آنذاك بمصر.. ولكن ما ان علم القوم بنعي الفقيد من صفحات الصحف في اليوم التالي حتى بدأ المعزون يفدون على داره فيقدمون التعازي الى كريمته والى من كانوا يجدونه في الدار من الاهل والصحاب، ويعربون عن الخسارة التي اصابت الشعر بوفاة شاعر العرب الكاظمي، وكانت الاحاديث تدور حول الذكريات التي يحملونها عن ذلك الشيخ الجليل ، فقد ذكر الشيخ مصطفى عبدالرازق رحمة الله عليه، بان عامة القوم في مصر لم يكونوا يفرقون بين الاقطار العربية بل كانوا يطلقون على كل من هو غير مصري كلمة "شامي" وكل بلد من البلاد العربية هو من "بر الشام" حتى جاء الكاظمي وبدأ يترنم بذكر العرب وبغداد والكرخ والزوراء فعرفوا به تلك البلاد وصاروا اذا رأوا عربيا من العراق قالوا هذا من بلد الكاظمي، وهكذا كان الكاظمي اول من عرف المصريين بوجه العراق العربي الأصيل.. وذكر الاستاذ مكرم عبيد عضو حزب الوفد المصري، بان الزعيم سعد زغلول كان كثير الاعجاب بشعر الكاظمي وكان يرى فيه شاعرا من شعراء المعلقات، وذكر الاستاذ مكرم بان سعد كان اول من وصف قصائد الكاظمي "بالمعلقات" ولكن الشاعر خليل مطران شاعر القطرين لم يوافقه على ذلك، ونسب الى الاستاذ خير الدين الزركلي، الذي قام بطبع بعض قصائد الكاظمي واطلق صفة المعلقات على تلك القصائد.. وذكر الاستاذ اسعد داغر بان المصريين لم يكونوا يطلقون اسم "عبد المحسن" على ابنائهم قبل مجيء الكاظمي الى مصر، فلما عرفوه واعجبوا به بدأوا يكثرون من التسمية باسم عبد المحسن.

وكم عاتبنا وعاتب المفوضية العراقية آنذاك الكثيرون من المعزين لعدم قيامنا بالواجب تجاه الكاظمي ابان مرضه وبعد وفاته وتساءلوا اين مجلس العزاء والفاتحة لاستقبال المعزين ولما ذا لم تقم بذلك فلم نجد جواباً!! ثم مرت الايام.. وكان لنعي الفقيد الاثر الداوي في العراق فقامت الحكومة مجاراة للرأي العام وقررت اقامة حفلة تأبينية كبرى دعت اليها كريمته من مصر وكانت تلك الحفلة كسوق يتبارى فيها الادباء والشعراء بالاشادة بمنزلة الكاظمي العالية في عالم الشعر القومي العربي والخسارة التي اصابت الامة العربية عامة والعراق خاصة بفقده.. وقرأنا بالصحف بان لجانا تألفت لجمع ديوان الكاظمي واخرى لجمع التبرعات من الاهلين لتشييد ضريح لائق بمكانته.. وان مجلس الوزراء في العراق قرر تأليف اللجان واوصى بمؤازرتها.. ثم مضت الايام والسنوات ولا اثر لتلك اللجان او لما قيل عن التبرعات التي تقدم بها الاهلون، ولما سألنا المسؤولين عن ذلك قيل لي بان لا علم للجهات المسؤولة بذلك.. وكفى الله المسلمين شر القتال!

لذلك اخذنا الامر على عاتقنا بما لدينا من قلة في المال، واظهرنا المجموعة الأولى من ديوان الكاظمي عام ١٩٣٩ ثم اعقبناها بالمجموعة الثانية عام ١٩٤٧، وبعد ذلك قمنا بتشييد ضريح بسيط ولكنه لائق نقلنا اليه رفاته الطاهرة في مقبرة الامام الشافعي على سفح جبل المقطم الذي يطل على القاهرة وكان سبب اختيارنا لذلك الموقع هو كون تلك المقبرة تضم اضرحة الكثيرين من ادباء مصر، وموقعها بعيد عن امتداد احياء السكن، واحتمالات الغاء الدفن فيها او تحويلها الى منطقة سكنية او صناعية كما حدث لمدافن اخرى بالقاهرة، وبقينا طيلة هذه المدة ترعى الضريح حتى لم يبق لنا متسع لذلك.. ولما قمنا بزيارة القاهرة في تشرين الاول الماضي هالنا ما وجدناه فيه من تخريب ينذر بالاندثار ، وتركناه ليد القدر ونحن نعلم بانه منذ تشييدنا لذلك الضريح حتى اليوم لم يخطر ببال ممثلينا الدبلوماسيين بالقاهرة ولا طلابنا ولا احد من اعضاء مختلف الوفود الذين يترددون عليها ان يسأل عنه او يعلم اين هو موقعه لقولها معاتبا جميع هؤلاء على هذه الصورة من الوفاء للادب وللدين الشيخ الذي اذاب فؤاده وقضى حياته مترنما بذكر امجاد العرب والدعوة لوحدتهم الشاملة.

وبهذه المناسبة، مناسبة ذكرى وفاته، رأيت ان اذكر شيئا عن هذه الناحية من حياة الكاظمي ذلك الشاعر الذي اطلقت عليه الاوساط العربية لقب "شاعر العرب" فارتضته له بقية الشعوب العربية بحق وجدارة وطواعية من بين جميع شعراء العرب الذين عاصروه اوجاؤوا بعده، ولم يكن للكاظمي من قوة المال او السلطان ما ساعده على نيل ذلك "اللقب الرفيع" غير ما حفلت به قصائده الكثيرة من اثارة روح العروبة واستنهاض الهمم لاعادة مجد العرب واقامة كيان وحدتهم بروح تنم عن عروبة خالصة في التفكير والنزعات والاتجاهات.

وهو الذي اهاجه احد الزائرين عندما وصفه "شاعر العراق" فاذا به "اي بالكاظمي" يقول له: "بل قل شاعر عربي عراقي فالعراق اقليمي والاقطار العربية كلها وطني" كان ذلك في وقت كان القوم فيه تتجاذبهم نزعات واتجاهات ودعوات مختلفة ولم تتوضح لهم الطريق بعد، فمنهم من كان يدعو "للفرعونية" ومنهم الى "الاسلامية" وآخرون دعوا الى "المصرية" على اعتقاد بانها جمعت للعناصر المختلفة التي تعاقبت على بلاد الكنانة في مختلف العصور فانصهرت بمرور الزمن وكونت عنصرية جديدة رؤا فيها مميزات خاصة اطلقوا عليها "المصرية" ففي خضم هذه النزعات

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

الحائرة جاء الكاظمي وصاح بالقوم هناك:

احن اذا قيل العراق وانحني
واشهق ان قيل الشام وازفر
واطرق ان قيل الحجاز على جوى
واعجب اما قيل مصر وابهر
منى النفس ان يلقى العراق وغيره
من الخير ما يهوى وما يتخير
جميع بلاد العرب في القدر واحد
اذا وزنوا البلدان يوما وقدروا

وقال:

انما الشام والعراق ومصر
اخوات وان تفرقن حينا
حبذا يوم يصبح العرب طرا
في جميع البلاد متحدينا

وقد تعدى ذلك الى القول:

يا نيل انت لنا اب
واب الاعزة لا يذل
لك في العراق وفي الشام
ونجد والحرمين اهل
ولك الابر من الجز
يرة ما يبر اخ وخل

وكأني بالكاظمي لم يكتف بتذكير القوم في ذلك الزمان بأن مصر والشام والعراق وبقية البلاد العربية بلاد واحدة ذات امة واحدة بل اراد ان يقول لهم بان ارض الكنانة مصر ، وقد خاطبها بالنيل، هي بمنزلة الأب منها، وابو الاعزة لا يذل ، فهل اوضح من ذلك التفكير "بالوحدة الثلاثية" قبل الدعوة اليها بعشرات السنين؟

والذي يتصفح ديوان الكاظمي يبهره ما يجده فيه من كثرة التذكير بامجاد العرب والدعوة لوحدتهم والاشادة بالقومية العربية. وقد دعى في بعض قصائده بصراحة الى ان تكون وحدة العرب تحت لواء واحد، وقائد واحد، اسمعه يقول في قصيدة:

ايها العرب تعالوا نلتق
في طريق المجد حتى نصلا
نلتقي تحت لواء واحد
سجل النصر له اذ سجلا

وفي قصيدة اخرى لم تنشر بعد في الديوان يقول:

يا ايها العرب تعالوا
نحتكم الى الرشد
لم لانوحد القوى
جميعها ونتحد
تحت لواء واحد يخفق في كل بلد
في ظل ادرى قائد
له من الله المدد

وهكذا كانت الصورة في مخيلة الكاظمي بلاد واحدة ذات امة واحدة يخفق عليها علم واحد في ظل قائد واحد، فهل تجد بين شعراء العرب من دعا الى مثل هذا قبل اربعين او خمسين عاما وفي بلاد الكنانة بالذات؟

وكان الكاظمي يتلفت بانظاره هنا وهناك باحثا عن ذلك القائد من الحكام العرب آنذاك فيفرض فيه الاخلاص ويقول فيه الشعر تشجيعا وتحفيزا له للعمل القومي ثم يتوجه اليه بنفس القصيدة بالنصح والتوجيه والتحذير حتى اذا رأى ان ذلك لم ينفع فيه اذ رأى في ذلك الحكم انحرافا عن الطريق القويم يسلط عليه القوم ويكيل له التشهير اللاذع مما يسبب للكاظمي الكثير م المصاعب في حياته من نفي وقلة ذات يد وتشريد، ولنسمعه في احد قصائده الى الملك حسين بن علي يقول فيها:

لقد سبق الحسين الى المعالي
وكان لنابه شرف اللحاق
قد اتفق الحسين مع الاعادي
فلا كان الحسين على اتفاق
وهل يبقى على عهد حليف
اذا ما العهد شيد على نفاق
فويل للذين جنوا علينا
وقادونا الى الظلم المساق
فعدنا واثقين بهم فقامت
مطامهم على قدم وساق
وخفوا واعدين بنا منا مناهم
على ايدي التردد والشقاق
كانا ما اجتمعنا للتلاقي
غداة البين الا لافتراق

ثم اسمعه في احدى قصائده، غير المشورة في الديوان، وقد ارسلها وقد ارسلها الى احد ملوك العرب الذي ارتضى عرشا على اسس تقسيم البلاد العربية بموجب معاهدة. "سايكس بيكو" المشهورة:

ياسبة الجاني واية سبة
تلك التي تدعى بسايكس بيكو
ليس الحياة بان ترى في يعرب
ملكا وانت لخصمها مملوك

وفي قصيدة ارسلها شخصيا الى الملك فيصل الاول يحذره فيها من التحالف مع الانكليز قبل الحصول على "حق البلاد الاكمل" في الحرية والاستقلال اذ يقول:

احق الممالك ملك سما
به ملك عنه لا نشغل
واجد بالملك ذو فطنة
اذا غفل الدهر لا نغفل
ويأبى التحالف حتى يعود
الى ملكه حقه الاكمل
اعندك ان يستبيح الزمان
حمانا وانت لنا موئل
ايعضل امر وانت الذي
يحل على يده المعضل
وكيف يحل لنا مشكل
وحلال مشكله المشكل؟

ولكنه يخاطب افراد الشعب العربي فيقول:

سيروا بنا عنقدا وشدا
سيروا بنا ممسى ومغدا
سيروا فرادى او اثنى
والجمع للغايات اجدى
سيروا ذب عن الحمى
وترد عنه المتبدا
سيروا نؤلف شملنا
ونعيدها عقدا فعقدا
لا تحسبوا اوطاننا
هندا نحن لها ودعدا
هي نور اعيننا التي
ابدا نراح بها ونغدى
اوطاننا اروحنا
بل انها بالروح تفدى
بالله يا وطني اجب
ما بال قلبك ليس يهدا
يرضيك تصبح للخراب
وكنت للعمران مهدا
يا ايها الوطن الذي
نادى بنيه واستمدا
واسر نارا كلما
قيل اخمدى تزداد وقدا
يدعو كهولهم كما
يدعوهم شيبا ومردا
روح فؤادك واسترح
فبنوك لا يألون جهدا
سنراهم كا لاسد واثبة
ترد الخطب ردا
يا قلب كن حجرا اذا
ما قلبوه كان صلدا
من لان للخطب الشديد
ترقب الخطب الاشدا
سيروا قواصد للمنى
او تبلغ الاوطان قصدا
وترى البلاد جميعها
علما طويل الظل فردا

الكاظمي

كان الكاظمي يتلفت بانظاره هنا وهناك باحثا عن ذلك القائد من الحكام العرب آنذاك فيفرض فيه الاخلاص ويقول فيه الشعر تشجيعا وتحفيزا له للعمل القومي ثم يتوجه اليه بنفس القصيدة بالنصح والتوجيه والتحذير حتى اذا رأى ان ذلك لم ينفع فيه اذ رأى في ذلك الحكم انحرافا عن الطريق القويم يسلط عليه القوم

اما حنين الكاظمي الى مسقط رأسه ومرتع شبابه ومساكن اصحابه واحبائه في العراق. فقد كان ينم عن صدق العاطفة ويهز المشاعر، ولا شك بان كثرة ما ذكره الكاظمي في قصائده عن العراق بذلك الاسلوب العاطفي الجميل هو الذي لفت انظار القوم في مصر، الى هذه البقعة الطيبة من الارض العربية. وعرفهم بها احسن تعريف فكان ذلك اكبر واقوى دعابة لنا نحن العرب من سكان ارض الرافدين، فقد وصف العراق وطبيعة ارضه وشجاعة ابنائه بقوله:

فيه السبيل حدائق وخمائل
وبه البيوت عرائن وخدور
فيه الاريب الفد واللسن الذي
وفي ومنه العالم التحرير
حاجاته في ارضه وسمائه
فلدى التعسر رزقه ميسور
لكنه وهو الغني بتربه
من عار في ذلك التراب فقير
اما مبانيه فقير شواهق
لكن سكان البناء صقور
فهم البزاة محلقات في العلى
واذا هوت فضراغم وغور

واسمع حنينه في قوله:

الا خبر من ثنايا العراق
يطلع اوزورة تطرق؟
هل الدار بعدى كعهدي بها
يباكرها العارض المغدق
ام البين اسلمها لليلى
وعاث بها الذئب والخرنق
رعى الله اهل الحفاظ الاولى
كما لقى القلب فيهم لقوا
احباي هل كلف شيق
يناشده الكلف الشيق
وان خفق البدر بنحو الحمى
نزت كبدي نحوكم تخفق
على حرق اضلعي تلتوي
ومن علق ادمعي تدفق
متى تنجلي طبقات الكروب
وينجاب سدف العنا المطبق؟

وفي قوله:

ان يكن بات في الكنانة جسمي
ففؤادي بالكرخ بات رهينا

ومن قوله:

ارفاق الصبا وليس حرام
ان انادي رفاقي الاقدمينا
ابغداد ابشري وثقي بأني
بحبك سالك سبل التفاني
ولو اعطيت ملك الارض طراً
بغير هواك عيشي ماهناني

ولم اعلم بان اهله واصحابه او رفاق صباه الذين تغني بذكرهم في العراق كانوا يستمعون او يمدون اليه بايديهم او حتى بابصارهم، وانما استمع اليه ومد له يد الاخوة واظهر له واجب الوفاء رجال من ارض الكنانة ممن عرفوا فضله وقدروا منزلته من امثال الامام محمد عبده وسعد زغلول وغيرهما من رجال الفكر وقادة الامة.

اما بعد.. فهذا قليل من كثير عن بعض نواحي حياة شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي، الذي اذكره دوما بالا جلال والتقدير وادعو له في هذه الذكرى الثلاثين لوفاته بالرحمة والثواب، وقد تحدثت بما تحدثت به وما انا "بالاديب الاريب" وانما تذكيرا لادبائنا هنا، لعل هذه الذكرى تهزم فيقوموا بما عليهم من حق الادب القومي تجاه شيخهم الكاظمي، ولست اريد ان اصدق ما ذكره احد ادباء تونس الخضراء عندما ادعى "بأن ادباء العراق الآن هم اكمل ادباء العربية".

اما المسؤولون من رجال حكومتنا الوطنية، فالامل بان يقوموا بما يخلد ذكر الكاظمي، ويذكر جيلنا الناشئ بذلك الشيخ الذي قضى وقد بح صوته وفنى جسمه وروحه في سبيل استعادة مجد العرب ولم شملهم وتوحيد اهدافهم، وقد نزت كبده وتحرقت بنار الجوى ضلوعه لوعة على الدار والاهل والصحاب:

ابغداد لافاتتك مني تحية
يفسر فيها ما اراد المفسر
حنينا الى تلك البقاع الى التي
تطيب الى تلك التي هي اطهر
حنينا الى العود الذي هو انظر
حنينا الى الزور احنينا الى الصبا
وياليتني في ذلك الترب اقبر
لقد زعموا اني نسيت وانني
غدوت بهذي دون تلك افكر
وكيف تراني ناسيا ذكر موطن
له مورد في كل سمع ومصدر
اذا كان لي في ذلك الترب موطن
فلي وطن في هذه ليس ينكر
هناك شبابي قد تقضى وههنا
مشيبي وفي الحالين اشكو واشكر

رحم الله الكاظمي، وكان في عوننا من وراء القصد. انه سميع مجيب.

عن كتاب في ذكرى الكاظمي
الجزء الخامس

في فندق شبرد بالقاهرة عام ١٩٢١ بمناسبة تكريم وزير دفاع العراق جعفر العسكري

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

ظاهرة الارتجال عند الشاعر الكاظمي

الكاظمي في الاردن عام ١٩٢٧ مع الملك عبد الله

رفعة عبد الرزاق محمد

امران جسيمان رافقا سيرة الشاعر العراقي الكبير عبد المحسن الكاظمي ، وكانا موضع اهتمام الباحثين وخلافاتهم ، واجماعهم على ان الامرين حقيقيان وجديران بالبحث والتنويه . وهما استقراره في مصر وما احتجن حياته فيها من احداث ، وظاهرة الارتجال الشعري الذي ماز ابداعه ، حتى توهم البعض وعده ضربا من المبالغة او الخيال ! . وفي المقال الذي بين يديك اطلالة سريعة على الامر الثاني وما اشتهر من ارتجاله للشعر ونوادره ، بما يناسب هذا الملف .

ولعل اول من نبه الى هذه الظاهرة لدى الشاعر الكاظمي هو سليم سركيس (١٨٦٧ ١٩٢٦) صاحب مجلة (سركيس) وهو من اصدقاء الشاعر . وكان سركيس مبهورا بما عرفه عن الشاعر ، وكتب في ذلك مما اثار القراء بين مصدق ومكذب . وقد ذكر سركيس انه دعا الشاعر الكاظمي لحفلة غداء في داره ، كما دعا اليها الدكتور ابراهيم شدودي (ت ١٩٣١) ، وهو طبيب عيون واديب من اصدقاء الشاعر ايضا . وفي تلك الحفلة انشد شدودي قصيدة في مدح الكاظمي ، مطلعها :

نفر الحبيب ولا سبب
اتراه يسلب ما وهب

ومنها :

اني بمدحك يا فتى
بغداد اقضي ما وجب
لولا الهيام بشعرك
من غرامي لم اتب

ويقول سركيس : ... وما ان انتهى الدكتور شدودي من انشاد قصيدته حتى اجابه المحتفى به بقصيدة ارتجالية من نفس البحر والقافية ، فكان ينظم وانا اكتب والاخوان يعجبون بسرعة خاطره ، حتى بلغت القصيدة ثلاثين ومئة بيت ! . ومنها :

لعب الطبيب ولا عجب
ولرب جد كاللعب
اذكيت يا اسي العيو
ن فؤاد صب مكتئب
واهجت عندي لوعة
لم يطفها الشبم العذب
اذكرتني عهد الشبا
ب وما قضيت من الارب

هذا ماشهد به صحفي مصري معروف والقصيدة مثبتة في الديوان في جزءه الثاني (ص ١٠٢) .

ومما رواه الشيخ عبد القادر المغربي (١٨٦٨-١٩٥٦) العالم الشامي ورئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ، عن بداهة الكاظمي انه زار المغربي يوما في ادارة جريدة المؤيد التي كان يصدرها الشيخ علي يوسف في اوائل القرن العشرين ، فابتدره الصحفي سليم سركيس بالعتب الشديد عليه لعدم تهنئته بزيه الجديد ، فقد نزع سركيس الزي الافرنجي الضيق ، وعاد الى لبس القفطان المشدود من وسطه بالزنار ، وجبة سهلة الطي ، واعلن عن هذا التغييرفي الصحف المحلية ... فلما دخل الكاظمي واسمعه سركيس عتبه قال له :

الق دوانك واقرب
وخذ اداتك واكتب

ثم استمر في ارتجال الشعر في مدح سركيس ووصف زيه الجديد ، ويضيف المغربي : حتى اذا طال نفس القول ، اعترضته قائلا : ارى سيكون لهذه القصيدة نبأ عظيم بين ادباء القاهرة فلم لا يكون لي فيها ذكر ، وانا ثالثكما وشاهد حادثتكما ؟ . فتحول الكاظمي عن سليم ، واقبل علي وخاطبني ببضعة ابيات من شعره المرتجل على وزنه وقافيته ، ثم عاد الى اتمام الكلام في سليم حتى اكمل

ولعل اول من نبه الى هذه الظاهرة لدى الشاعر الكاظمي هو سليم سركيس (1867 1926) صاحب مجلة (سركيس) وهو من اصدقاء الشاعر . وكان سركيس مبهورا بما عرفه عن الشاعر ، وكتب في ذلك مما اثار القراء بين مصدق ومكذب . وقد ذكر سركيس انه دعا الشاعر الكاظمي لحفلة غداء في داره ، كما دعا اليها الدكتور ابراهيم شدودي (ت 1931) ، وهو طبيب عيون واديب من اصدقاء الشاعر ايضا .

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

قصيدة بلغت ٣٧ بيتا فيما اذكر ، وقد نشرها سليم في مجلته في سنتها الخامسة ...

اما القصيدة فمطلعها :

اترى الافضلين والابدالا
وجدوا الشكوك فيك مجالا ؟

ومنها مشيرا الى تبديل الزي :

اكذا ينبذ التقاليد حر
ويفك القيود والاغلالا

احرجتك الازرار وهي عقال
وطليق الافكار يأبى العقالا

كنت بالامس لست تعرف ماالذيل
فاصبحت تسحب الاذيالا

في عام ١٩١٢ اصدر محمد صبري الملقب بالسوربوني (١٨٩٠-١٩٧٩) كتابه الرائد (شعراء العصر) ، ولم يغفل الشاعر العراقي المقيم بمصر وبداهته ، فقال : والرجل على خلق عظيم ، يراه كل من يختلط به ، وهو اطول الشعراء نفسا ، وربما يرتجل القصيدة التي تبلغ المئة والمئتين او ما ينوف عليها دفعة واحدة . ونقلت الكتب التي صدرت بعد هذا ما ذكر عن الامر .

وكان الاستاذ خير الدين الزركلي (١٨٩٣-١٩٧٦) ، الاديب والباحث وصاحب موسوعة (الاعلام) من اصدقاء شاعرنا الكاظمي ، ويعرف الكثير عنه وعن شاعريته ، وقد اكد في كتابه الكبير على حقيقة الارتجال في شعر الكاظمي ، غير ان الاستاذ محمد مهدي البصير (الدكتور فيما بعد ،١٨٩٥-١٩٧٤) اراد التأكد من الامر عام ١٩٣٠ وهو في مصر في طريقه الى فرنسا للدراسة ، فألتقى الزركلي وتحدثا عن الكاظمي ، فذكر الزركلي : انه اول من اخبر الكاظمي بالاعتداء الذي جرى على سعد زغلول عام ١٩٢٤ وطلب منه ان يقول شيئا بالمناسبة ، فلبى الشاعر الطلب في الحال ، ثم رغب اليه الزركلي ان يقول شيئا اخر عن زعيم مصر وبقافية اخرى ، فصمت الكاظمي لحظات ثن اجاب هذه الرغبة . ويضيف البصير انه تحدث مع الاستاذ اسعد داغر (١٨٨٦-١٩٥٨) الصحفي المصري المعروف ، فقال له : يا استاذ ان الناس منقسمون فيما يشاع عن قدرة الكاظمي على الارتجال ، وهم في هذا بين مصدق ومكذب ، ولكن كثرتهم تميل الى التكذيب ، فما تقول في هذا؟

فقال : ان المكذبين معذورون ومخطؤون لان ارتجال مئات ابيات من الشعر الجيد امر لا يصدقه العقل !! ومخطؤون لان هذه هي الحقيقة . اروي لك ان صديقا للكاظمي فقد ولدا له في ريعان الشباب فلم يواسه الكاظمي ولم يحضر لقراءة الفاتحة على روح ولده بسبب مرضه، ولكنه التقى به بعد ايام فعزاه وواساه واعتذر اليه ، فقال له هذا : ولكن يا استاذ لو نظمت ابياتا ترثي بها الفقيد لكن احب الينا ، فقال : حبا وكرامة . فارتجل قصيدة في اربعين بيتا ، وكتبها والد الفقيد . ولما فرغ الكاظمي من الارتجال وصديقه من الكتابة قال له : انا سنقيم حفلة اربعين للمرحوم على قبره ، فهل لك ان تتفضل فتنشد القصيدة في الحفلة ، قال الكاظمي : نعم .

وجاء الموعد المحدد وجاء الى موضع الاحتفال ولكنه راى قريبا من ذلك الموضع ضريحا ضخما فسأل عنه فقيل له انه قبر المرحوم

محمود سامي باشا البارودي (١٨٣٩-١٩٠٤) ، ولم يكن الكاظمي قد رثى البارودي حين وفاته بسبب مرضه ، فعدل الى ضريحه وعدل الناس معه واخذ يرتجل في رثاء البارودي حتى بلغ عدد ابيات القصيدة خمسين ومئة بيت ، قال في مطلعها :

اقيموا صلاة الخاشعين وسلموا
على من حوى هذا الضريح المعظم

ولم يكتف اسعد داغر ، بل اضاف في حديثه للبصير قائلا : وما كان لي وانا ارى هذا بعيني راسي واسمعه باذني ، ان امتحن الكاظمي لارى الى اين تصل قدرته على الارتجال ، ولكن هذا ما فعلته ! فقد اتفقت مع شاعر مصريعلى ان يمدح الكاظمي بقصيدة صعبة الروي ، وينشده اياها عنده في موعد حددته له . ودعوت الكاظمي الى الغداء وبعد ان فرغا من تناول الطعام خرجنا الى الصالون لتناول القهوة ، واذا بالشاعر المصري يفلجيء الكاظمي فسلم عليه سلاما حارا ؟، وقال له انه من مريديه ، والمعجبين بادبه ، وقد مدحه بقصيدة متواضعة ويود ان ينشده اياها ، فقال له : هات .

واذا هي قصيدة شينية على جانب كبير من الصعوبة . فلما فرغ الشاعر من انشاده ، قال له الكاظمي : انك لم تبق لنا شيئا ! ومع ذلك اخذ يجيبه في نفس العروض والقافية وما زال يرتجل حتى اشفقت عليه ، ورجوته ان يكف عن الارتجال !

اما الكاتب الكبير عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤) وهو المعروفه بقسوته على مخالفيه وشحته في اطلاق كلمات المدح والاطراء ، فقد اكد هذه الحقيقة وان لم يكن قد راى الكاظمي وهو يرتجل الشعر ، فقال : هذه هي سهولته المقرونة بالجزالة ، وهذا هو ارتجاله المعصوم من الارتجال ! لم احضره وهو ينظم على البديهة ، ولكن حدثني بعض من حضروه ، فقال : انه كان رحمه الله ، ينظم كمن يتحدث على مهل ، ويملي فيكاد بعض الائه يسبق من يكتب ويستعيد الابيات حينا بعد حين لكنه كان يستعيدها ليربط بينها ، وقلما يستعيدها لتبديل او تنقيح .(من مقدمة الجزء الثاني) .

وشهد الشيخ مصطفى عبد الرازق (١٨٨٥-١٩٤٦) شيخ الازهر ووزير الاوقاف المصري والباحث المرموق ، فقال : والكاظمي اية في ارتجال الشعر الجيد ، ياتي فيه بالعجب العجاب ، راينا ه يحضر الحفل العام او المجلس الخاص ،تطرؤ مناسبة يدعى لان ينشد فيها شعرا ، ثم ياخذ في الانشاد فلا تلمح اثر الارتجال في تلك القصائد الطوال المجودة. ولا تلمح اثرا للتكلف في ذلك الشاعر العربي ، الذي يفيض شعره عن بديهة وارتجال ، كأنه الهام .

اصدر الاستاذ المرحوم عبد الرحيم محمد علي كتابا بخمس حلقا ت جمع فيه ماكتب عن الكاظمي في شتى الكتب والدوريات وكفى به مؤنة البحث والجمع ، الا ان غيابه القسري ثم فقدانه عام ١٩٨٠ ، اوقف هذه الجموعة الادبية والتاريخية المهمة .

وتضم هذه الجموعة الرائقة شهادات مختلفة عن موضوعنا ، كتبتها شخصيات عربية مختلفة ، وكلها تجمع على سرعة البديهة الشعرية لدى الشاعر الكبير ، ولاتترك لقائل او مرتاب شيئا . وهذا ما دفع اديبا عراقيا كبيرا وصحفيا قديرا مثل الاستاذ رفائيل بطي (١٩٠١- ١٩٥٦) الى القول ك والمزية التي تفرد بها بحيث سبق الانداد والنظراء هي طول النفس في الشعر والارتجال على البداهة لايخفف عند حد ارتجال البيتاو الابيات اربعة ، بل يتجاوز العشرات بل المئات . وقد سجل تاريخ الحركة الادبية للفقيد في هذا الميدان تفوقا مميزا ، و ر و ى عنه سليم سركيس والشيخ عبد القادر المغربي وخير الدين الزركلي واسعد داغر من الادباء المعدودين ، الروايات التي لايكاد يصدقها المرء ، لولا ثقة الرواة .

ولعل اشهر ما ينقل في موضوعنا واطرفه ، في زيارة جعفر العسكري رئيس الوزراء العراقي الى مصر ، فأقام العراقيون في مصر حفلا تكريمياكبيرا له ، وكان من بين شهود ذلك الحفل الشاعر الكاظمي وقد ضعف بصره يومئذ. فاقترح عليه اثناء الحفل ولم يكن اسمه مدرجا في قائمة المتكلمين ان يقول شيئا مناسبا ، وتحت الالحاح وقف الكاظمي وارتجل قصيدة طويلة من مئة واربعين بيتا ، وهي من غرر قصائده ، ومطلعها :

يراع العلى هل انت ادهى وابصر
ام السيف ارسى منك قلبا واجسر

الكاظمي

ولعل اشهر ما ينقل في موضوعنا واطرفه ، في زيارة جعفر العسكري رئيس الوزراء العراقي الى مصر ، فأقام العراقيون في مصر حفلا تكريمياكبيرا له ، وكان من بين شهود ذلك الحفل الشاعر الكاظمي وقد ضعف بصره يومئذ. فاقترح عليه اثناء الحفل ولم يكن اسمه مدرجا في قائمة المتكلمين ان يقول شيئا مناسبا

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2225)
السنة الثامنة
الخميس (18)
اب 2011

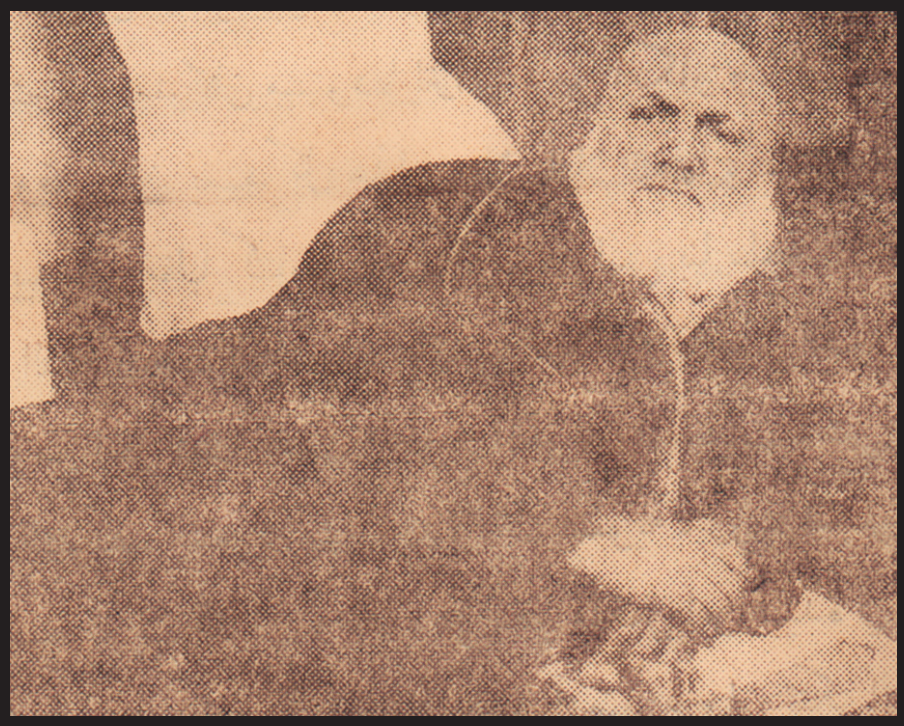

فقيد الأدب الشيخ
عبد المحسن الكاظمي

الشعر فن كسائر الفنون خصه الله بفئة من الناس في كل عصر وفي كل جيل فكان لهذا الفن العلوي تأثير عميق على النفوس والعواطف اليه تلجأ في ايام احزانها ومسراتها، ومنه نستشف صورتها ونستكشف احلامها وآمالها، وبه نلمس تصوراتها، وهذه الموهبة الخاصة سواء ظنها المتقدمون صادرة من شيطان او المتأخرون عن وحي والهام هو الذي انزل تلك الفئة من المجتمع منزلة القادة في آدابه واخلاقه وسيرته في الحياة.

ع عبد الحسين الازري

هذا المعنى ايها السادة دعاني الى ان اقف في هذا المحفل الحاشد والقي كلمة موجزة عن الفقيد الشيخ عبد المحسن الكاظمي الذي هو احد قادة الادب العربي حقا واحد الرجال النوابغ الذين احيوا دولته، ورفعوا لواءه، في هذا العصر، كان دليلي الى المعرفة بالكاظمي والالمام بادبه الجم قصيدة وقعت بيدي من شعره في العراق فحببت لي ان اتتبع اثاره واستطلع حياته الادبية في الكاظمية وكنت في ذلك الوقت حدث السن مولعا بالرقيق من الشعر، وبالطبع كان الشعر العراقي من وجهة عامة منحصرا في ناحية واحدة ضيقة من نواحي الحياة وهو الغزل والنسيب والمدح والرثاء المعبر عنه اليوم بشعر الصناعة والتقليد كما هو شأن الشعراء المعروفين من طبقة الكاظمي وقتئذ.

كانت موهبة الشاعر وبلاغته تظهر باسلوب نظمه وبهذا كان يعرف التفاضل بين شاعر وشاعر، وحجتهم: ان البلاغة ليست في المعنى ولا اللفظ، ولكن في الاسلوب المتدفق حلاوة وسلامة، فكان يضيف الى معنى البيت معنى ىخر لا تدل عليه الالفاظ بل تدل عليه هزة الطرب التي يحدثها هو في النفوس الحساسة، ومن اجل هذا لاحظنا الذين يستعيدون البيت والبيتين من قصيدة تتلى انما يستعيدونه لا من جهة المعنى فقط بل من جهة الاسلوب الذي بدونه يصبح الشعر كالماء الفاتر تعافه النفس ويمجه الذوق، وهذه الموهبة نفسها كانت متجلية بشعر الكاظمي فقد وجدنا ينتقي من الكلمات المترادفة والمخزونة في ذهنه اخفها على الروح، وارقها على الطبع والفها للسمع وانسبها للموضوع حسب ما يختاره ذوقه ومرتضيه خفة روحه وذلك بغير تكلف ولا كبر ولا عناء شأن الماهر في صنعته المتسلط عليها او كالطبيب العارف بمعاقير الادوية يركب منها ما يوافق العلاج، ومن هذه الوجهة كان يوصف شعره بالسهل الممتنع من حيث لا تجد كلمة غير متناسبة مع اخواتها في كل بيت من قصيدته، وبهذا الاسلوب اشتهر في المحافل الادبية بالعراق واخذ الناس يتداولون شعره ويتناشدونه.

نشأ الكاظمي شاعراً بطبعه بل بكله ولم ينجع به ترغيب الفضلاء بان يترك الادب ويكلف على دراسة العلوم الدينية بعد ما درس منها شطرا وذلك لما رأوا من شدة ذكائه المفرط وقوة حافظته الغريبة واستعداده الفطري المدهش فقد كان يحفظ القصيدة مهما كان عدد ابياتها اذا تلاها مرة واحدة ولكن طبعه الرقيق تغلب عليه فهجر الدرس وسلك سبيل الادب مع علمه بكساد هذه البضاعة..

ولم يزل الناس حتى اليوم يتحدثون عن مساجلاته الادبية مع حلقة الشعراء الممتازين في عصره، وما زالت عالقة في ذاكرتهم احاديثه الطربة التي تشتمل على ظرف وكياسة وحذق يتخللها شواهد مستملحة تجعل جليسه مسحورا بها يود ان لا تنقطع ولو ضاق الوقت، وفي تلك المساجلات تجلت عبقريته في الشعر التي اظنه قد اختص بها دون غيره وهو الارتجال.

والارتجال ايها السادة برهان قاطع على عظم ما يحمله الشاعر في حافظته من مفردات اللغة، كما هو دليل على مقياس نبوغه ومعيار تضلعه في الادب، ولولا ذلك لصعب على الكاظمي استحضار القوافي لقصائده الارتجالية التي ربما بلغت المائة بيت او اكثر، حتى يخلل السامع انه ينشد لاينشيء، وهذه الصفة قل من ظفر بها من الشعراء الممتازين مع مراعاة انسجام وحسن سبك وجزالة لفظ ووضوح معنى وبداعة اسلوب.

والذي يقرأ قصائده الاخيرة يراها صادرة من ينبوع صاف مقطر لا ينقطع فكانما نظمه متوقف على ارادته فاذا شاء مشى النظم كما يمشي الماء في الجداول، واذا انصرفت ارادته عنه وقف وانقطع واظنه لو لم يعثره السأم لربما بلغت قصائده المئات من الابيات، ولظل يمشي بها الى ان تنفد آخر كلمة من معاجم اللغة تصلح للتقفيه، وما كنت اصدق الخبر القائل بان المتنبي كان يجيب سائله عن كل شاردة وواردة فياللغة حتى رأينا الكاظمي في هذا العصر. ويظهر لي ان اضراب هؤلاء من اللغة بمنزلة الفنيين الاختصاصيين في المعادن فكما ان اولئك لهم قدرة التمييز الدقيق بين معدن ومعدن لجميع خصائصه كذلك لهؤلاء مثل هذه القدرة بين كلمة واخرى من الكلمات اللغوية ان كانت من جهة الفصاحة والدلالة.

اتصل الفقيد الكاظمي بالشاعر الشهير السيد ابراهيم الطباطبائي قدر سنتين فاخذ عنه ولذلك تجد في شعره روحا من اسلوب الطباطبائي في سرعة البديهة والذهاب بالشعر مذهب الاولين. واكب على ديوان السيد الرضي، وديوان المهيار فحفظ منهما ما استطاع ومشى على طريقتهما فاحسن الاقتداء بهما وحاكاهما بذلك فقارب، واقتداؤه هذا كان في شعره العراقي اوضح واجلى، ولكن بعد هجرته الى مصر عام ١٣١٥ من التاريخ الهجري راينا شعره قد انقسم الى شطرين هما واحد اذا راعينا ما فيهما من جودة اللفظ وحسن الديباجة ، واثنان اذا لاحظنا اختلافهما بالاتجاه ومحاولة الخروج عن تلك الناحية الضيقة.

اما الشطر الاول من شعره فقد ذهب مع الاسف ولم يبق منه الا قدر ما يترك فصل الربيع بعد ذاهبه من الزهر في زوايا الوديان وظلالها، واما الشطر الثاني وهو المعول عليه اليوم فقد بلغني عن احد الفضلاء انه يؤلف ديوانا وسطا سمح الفقيد بنشر اليسير منه وحرص على الباقي حرص البستاني على ازهاره وقد زفت لنا احدى الصحف العراقية احسن بشارة وهي ان حكومتنا قررت طبع ديوانه تخليدا لذكراه وذلك بواسطة لجنة في مصر اخذت على عاتقها تبويبه وتقديمه الى الطبع وهذا لا شك عمل مقدر مبرور يشكرها العراقيون عليه كل الشكر.

اظنني مصيبا اذا قلت ان الكاظمي لو لم تعاكسه المقادير من بدء حياته الى نهايتها لكانت اثاره اضعاف ما تركه لنا اليوم ولخلف من بعده انفس وارفع ما جادت به قريحة شاعر عربي على ان هذا المقدار كاف لمن يريد ان يعرف روح الشاعر وعلو منزلته في الادب.

ترك الكاظمي العراق وليس معه نخيرة سوى ادبه، وانما اضطره الى الرحيل عاملان في ذلك الوقت استبداد الوازع وسوء الطالع وتنقل في رحلته هذه الى ان حل مصر ورأى ما لمصر من رحابة صدر وحسن وفادة وما في مصر من فاتحة عصر جديد وما للنيل كالرافدين من روعة وجمال ما يستوطنها، ومرت فترة من الزمن حجبت عنا ادب الكاظمي الى ان تغير الوضع فعرفناه داعيا للاصلاح في شعره، ثم اعلنت الحرب فشاهدناه رسولا الى الوطنية ومدافعا عن القضية العربية الكبرى واعقبتها ثورة مصر فعرفناه وفديا بمبدئه ومن دعاة الوفد والمخلصين لزعيمه، ورأينا الزمن كل هذه المدة لم يهادن في حربه ومن جراء هذه الحرب الضروس انتابته الامراض وانهكته العلل فاشتغل بالامة عن ادبه وانصرف الى معالجة دائه وشفائه عما كانت تحاول نفسه من وراء هجرته وحسبنا شاهدا على ما ذكرناه مقدمة الفاضل الزركلي على معلقات الكاظمي المطبوعة في مصر فقد قال ما خلاصته:

لقد كان الكاظمي في طليعة من ادركوا عظم سعد في مصر، واعتقد فيه ما اتفق الناس عليه اليوم قبل ان تلوح لهم آثاره، وما كان ذلك بالتنبؤ منه، بل انه ادرك فيلسوف الشرق جمال الدين الافغاني، فاحبه وانتقل ذلك الحب من بعده الى تلميذه الشيخ محمد عبده ثم الى ربيبه سعد زغلول قبل ان تنفق الناس على زعامته، ومن هذا ادرك الناس سر معصية الكاظمي طبيبه كل يوم وهو يتقلب على سرير المرض والطبيب يحذره من ان يفكر او ينظم وكان يطيع طبيبه الى حد لا يحول دون تفكيره في سعد وارتجاله القصائد في سياسته.

وقد عاش الفقيد ابيا عزيز النفس مع قلة الناصر وفقدان المساعد على نوائب دهره بدلنا على ذلك الاباء قوله في قصيدته التي نظمها في اواخر ايامه:

وابائي يرى من الضيم ان يحمل
في الدهر منة للغمام

وهذا المعنى وان كان مأخوذا من بيت الشريف الرضي:

ولولاك ما استسقيت في الدهر مزنة
فاحمل يوما منة للغمام

الا ان الشريف الرضي وهو السيد الهاشمي الابي قد حمل هذه المنة في سبيل من يهوى واما الكاظمي فلميرض بحملها مهما اختلفت السبل والكاظمي لم يجبر بالشكوى لاحد ولا يرضى ان يكون يوما ما موضع عطف الناس بل عاش محتفظا بعزته واثقا من نفسه معتمدا بكرامته صابرا على محنته وهو القائل:

ما شكت لي الضنا عظامي لكن
قام يشكو الضنا من عظامي

ولهذا استغربت مما نسبه اليه الشيخ عبد القادر المغربي من ان الكاظمي بسبب ما كابده من الضيق عمد الى تربية الدجاج ليحصل من وراء ذلك على بلغة من العيش فاخفق، واني اعتقد ان الفقيد كان ولم يزل الى ان توفاه الله يترفع عن امثال هذه المهن الحقيرة ولو مات جوعا، وان الذي لم تطاوعه نفسه على السكنى في المنازل التي لا تليق بشأنه مع خلو ذات يده ولا يسكن الا باحسن عمارة في مصر الجديدة حيث تسكن الطبقة الراقية من المصريين ، لا يتنازل لتربية الدجاج ..

وبالاجمال كان الكاظمي امير البيان حقا ومفخرة من مفاخرالادب العربي وكفاه شاهدا على علو كعبه في الادب هو ان امثال فخري البارودي وحافظ ابراهيم وغيرهما من الشعراء والكتاب والادباء في مصر كانوا يرجعون اليه ويأخذون عنه، ويعرضون عليه ما تجود به قرائحهم واقلامهم ليبدي رأيه فيما اذا كان هنالك ما يستوجب النقد كأنه النابغة الذبياني في سوق عكاظ، وكان اذا دخل محفلا من المحافل المصرية هابه الحاضرون احتراما لفضله واكبارا لمقامه الرفيع في الادب.

ومما يجب ملاحظته في هذا الموقف ايها السادة هو اننا قد اقمنا اول تأبين لشاعر فحل انجبته البلاد العربية واصبحنا نقدر شعراءنا النوابغ ونشعر بمصاب فقدانهم، واني اشكر اللجنة المحترمة التي رفعت رأسنا عاليا في اقامة هذه الحفلة التأبينية والسلام عليكم.

(كلمة في الحفل التأبيني نشرتها ج. البلاد سنة 1935)

رباب الكاظمي تتحدث عن أبيها

دواوين الشاعر المرحوم عبد المحسن الكاظمي الاربعة ستجمع في مجلد انيق واحد لتتصدر المكتبة العربية..
وراء هذا العمل الادبي الضخم كريمة المرحوم الكاظمي السيدة رباب.. دبلوماسية ودكتورة في طب الاسنان تتقن ثلاث لغات هي الانكليزية والفرنسية والروسية والعربية طبعا، وهي مصرية المولد، عراقية الاصل، وجدها من امها تونسي وكانت اول دبلوماسية تقف في خط النار اثناء الاعتداء الفرنسي الغاشم على قرية ساقية سيدي يوسف ولم تكتف بهذا بل صحبت ابنتها معها الى تلك الغرية وكتبت عنها الصحافة العالمية..

وفي شقتها الانيقة بحي المنصور تحدثت معها ثلاث ساعات دار الحديث في مختلف الموضوعات وكانت البداية ذكرياتها مع والدها المرحوم الكاظمي الذي فقدته العروبة والشعر العربي ثم تطرقنا الى اشياء اخرى. قالت السيدة رباب: ان السلطات التركية التي كانت تحكم هذا البلد ضيقت على المرحوم الكاظمي واجبرته على ترك العراق وهو لم يبلغ من العمر ٢٢ عاما لانه كان يطالب بالحرية واستقلال الامة العربية ووحدتها الشاملة وسافر الى مصر في عام ١٨٩٨ ليلتحق بزميله في الجهاد المرحوم محمد عبده ومن هناك قرر السفر الى باريس التي كانت ملجأ اجتماع المفكرين والادباء العرب في ذلك الوقت يعقد في مقهى اللواء امام جريدة – الاهرام –.

وتزوج من سيدة مصرية هي عائشة محمود التونسي التي كان والدها ادبيا معروفا في تونس. ثم توفي المرحوم محمد عبده في عام ١٩٠٥ فكانت صدمة تحملها الكاظمي وحزن على شقيقه في الكفاح حزنا بالغا، الا ان الشيخ مصطفى عبد الرازق كان يخفف عنه اللوعة والحزن.

واذكر مرة وكان عمري ٧ سنوات اني سالت والدي وهو بين اصدقائه الذين كانوا يجتمعون يوميا في دارنا لما ذا يا ابي ارى والدتي سافرت في حين ان اغلب النسوة كن محجبات فقال لي: الحجاب نوع من انواع السجن فهل ترضين ان تسجن امك؟ وتمر الايام واذا بي في يوم من الايام راى والدتي محمولة على الاكتاف وهي في طريقها الى العالم الاخر.

وعاش ابي بعد تلك الفترة لي وحدي كان يحاول ان يوفر لي السعادة ولا يجعلني اشعر باليتم وبعد ٨ سنوات ودع هو الآخر هذه الدنيا الفانية.

كما اتذكر ان ابي كان له صديق يعمل في الحلاقة ينظم الشعر وزجال وهو لايعرف القراءة والكتابة وعندما قررت السفر الى العراق لحضور حفلة الاربعين التي اقيمت بعد وفاة ابي جاء هذا الحلاق واسمه الاسطة احمد ليودعني في المحطة وليقرأ هذه الازجال عن لسان مصر:

رباب يا بنتي يا قموره
ليه الجفا ليه ناسياني
انا امك انا حبيبتك
انا مصر ام البلدان
هي العراق احسن مني
وانار بيتك في احضاني
مع السلامة يا ربوبة
ياركن من ضمن اركاني
مع السلامة افتكريني
وحب وطنك شي تان
في ذمة الله اودعتك
مصونة باسم الرحمان

وبعد ان راحت السيدة رباب تعيش هذه الذكريات التي هي جزء من حياتها.. قلت لها: المعروف عن المرحوم الكاظمي انه كان يرتجل الشعر فما هي اطول قصيدة ارتجلها ؟ قالت: كانت تلك القصيدة مكونة من ١٥٠ بيتا وهي لا تقل روعة واصالة عن قصائد الكاظمي المعروفة.

والسيدة رباب ولدت في مصر وعاشت فيها حتى وفاة والدها في ايار ١٩٣٥ فسافرت الى العراق وقضت فيه فترة قصيرة عادت بعدها الى القاهرة حتى كان عام ١٩٣٨ فتزوجت ورحلت الى الشام.

وقد اكملت دراستها في باريس كطبيبة اسنان ثم تخصصت في واشنطن ومارست الطب مدة من الزمن وكانت مع زوجها الاستاذ حكمت الجادرجي الذي يعمل في السلك الدبلوماسي في الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وانكلترة وبدات تنظم الشعر في عامها العاشر ولها قصائد جريئة وقد قالت لي انها لا تحب الشعر الحر لانه نثر يحاول صاحبه ان يسميه شعرا.

وكانت في العام الماضي في تونس بصحبة زوجها الاستاذ حكمت الجادرجي وهي تقول عن تونس: لقد احببت كل شيء في تونس التي تعتبر من ارقى البلدان العربية كما اعجبتني الاسرة التونسية والرجل التونسي الذي يحترم زوجته الى درجة كبيرة حتى ولو كانت امية كما ان فيها الجمال الاصيل وعلى هذا الاساس فانت اينما وجدت جمالا خارقا فتأكد انه من تونس، كما ان المراة هناك مثابرة ومجاهدة وثقافتها متوسطة في اغلب الاحيان وارقى منصب وصلته المراة هي عض في المجلس الوطني متمثلا بالسيدة راضية حداد.

والحادث الذي تتذكره السيدة رباب كان اثناء قصف الطائرات الفرنسية لساقية سيدي يوسف وقد دعت الحكومة التونسية الهيئات الدبلوماسية فيها الى الاطلاع على الاجرام الذي اقترفته فرنسا الباغية ونظمت جولة الى القرية المقصودة حضرها كافة الدبلوماسيين وكانت هي الدبلوماسية الوحيدة التي اثارت الاعجاب وبصحبتها ابنتها فسألها الصحفيون عن سر قدومها الى هذه المنطقة وهي امرأة فردت عليهم انها لا تقل شجاعة عن نسوة الجزائر اللواتي يقفن في خط النار للذود عن وطنهن وحريته المساوية، وقد دخلت المستشفيات وواست المرضى وفي حادث برزت تطوعت كطبيبة ودبلوماسية من العراق العمل في الحقل الانساني وتلقت شكرا من وزير الصحة التونسي.

بقي ان تعرف ان السيدة رباب هوايتها تعلم اللغات الحية وقراءة القصص البوليسية وتقول عن زوجة الدبلوسي انها مسكينة لان نصف عمل زوجها يقع على رأسها وعليها ان تكون قدوة لسيدات بلدها وتتخلص من المواقف الحرجة دون ان تسيء الى احد وتقف ساعات لتهيئ وجبات الطعام وتستقبل ١٠٠ مدعو ومدعوة في الحفلات الدبلوماسية ولها امنيتان، الخاصة ان ترى اولادها متمتعين بالصحة والسعادة العامة وان تشهد ذلك اليوم الذي تسأل فيه العراقي من انت فيقول: انا عربي من العراق والمصري يرد انا عربي من مصر كما يقول الاميركي انا اميركي من ولاية تكساس مثلا:

اما عمرها وهو سر المرأة الدائم فقد قالت عنه ابلغ اليوم ٤٢ عام بلا زيادة او نقصان.

لقاء اجراه الصحفي الراحل رشيد الرماحي ونشر في جريدة الايام 1962/5/9

رباب الكاظمي في صورة اخذت من معجم البابطين

الكاظمي

اتذكر ان ابي كان له صديق يعمل في الحلاقة ينظم الشعر وزجال وهو لايعرف القراءة والكتابة وعندما قررت السفر الى العراق لحضور حفلة الاربعين التي اقيمت بعد وفاة ابي جاء هذا الحلاق واسمه الاسطة احمد ليودعني

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين

الاخراج الفني: نصير سليم

التصحيح اللغوي: نوري صباح

طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

﴿ ١ ﴾

: « قال توفيق البكري : الكاظمي ثالث اثنين الشريف الرضي ومهيار الديلمي » الاعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٩٦ .

﴿ ٢ ﴾

: « وعبد المحسن الكاظمي الذي قطن مصر وسارت الركبان مغنية بشعره و افتخرت الصحف بنشره » الشيخ محمد حسين المظفر : تأريخ الشيعة ص ١٠١ ١٣٥٢ / نجف .

﴿ ٣ ﴾

: - [ان اكثر ماحاكى به الشيخ عبد المحسن استاذه « يعني السيد ابراهيم الطباطبائي » هو : « طول النفس وسرعة البديهة والذهاب بالشعر مذهب العرب الاولين] الدكتور البصير نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر ص ١٣٩ ، ١٩٤٦ بغداد .

﴿ ٤ ﴾

« . . . هبط مصر وذاع بها صيته ونظم فيها القصائد الرنانة سيما في الاجتماع والسياسة واكثرها على البديهة فأن له في الشعر بديهة عجيبة . . »

محسن الامين العاملي معادن الجواهر ج٢ ص ٣٠١- ١٣٩٤ - دمشق

﴿ ٥ ﴾

« . . الكاظمي عزيز على مصر والعراق وسائر الاقطار العربية

الشقيقة » مجلة مسامرات الجيب عدد ٩٦ مايس ١٩٤٧ القاهرة .

﴿ ٦ ﴾

« . . . وكان ينعقد في الكاظمية قبل الحرب العامة مجلس ادب عظيم يضم بين جانبيه جماعة كبيرة من الادباء والظرفاء والشعراء النوابغ كالشاعر العبقري ابن عمنا الشيخ عبد المحسن الكاظمي . . »

محمد صالح الكاظمي - احسن الأثر ص ٦٠ - ١٩٣٣ بغداد

﴿ ٧ ﴾

« شعر الكاظمي جزء حيوي من تراث النضال العربي هو شعر كالذهب لا يفقد قيمته ابداً على اختلاف الأيام . . . » عجاج نويهض جريدة الزمان عدد ٧١٦٨ - ١٩٦١ بغداد

﴿ ٨ ﴾

« . . . ولقد برهن بطول قصائده التي كانت تبلغ في كثير من الاحيان المائتين اوتزيد على ان القافية ليست عقبة في سبيل اداء الافكار والمعاني ، وعلى ان الشعر العربي يتسع لاوسع الاغراض » .

طاهر الطناحي - جريدة البلاد - العدد ٥٥٢/ ١٩٣٥ / بغداد .

﴿ ٩ ﴾

« و أوتي الكاظمي موهبة اخرى فائقة هي ضلاعته في ارتجال الشعر و ارتجازه »

كمال ابراهيم - مجلة الاتحاد - العدد ١٨ / ١٩٣٤ - بغداد .

عراقيون
من زمن التوهج